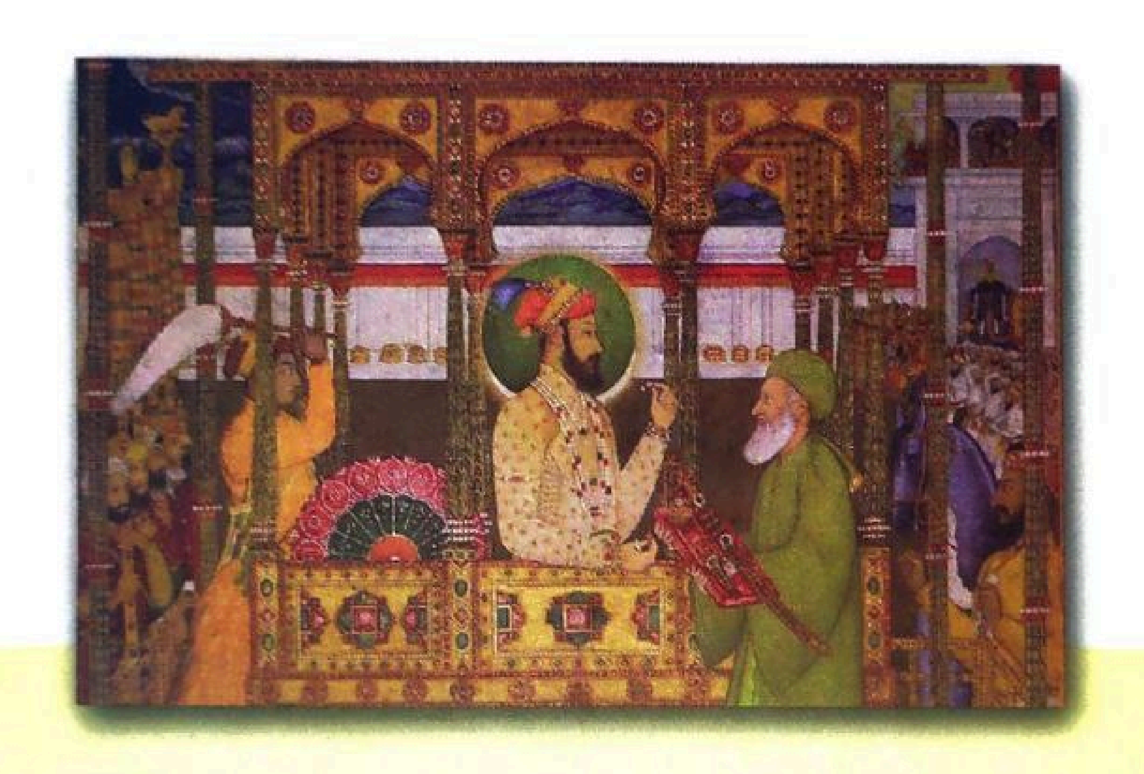
سلسلة نصوص تراثية

أحوالُ ملوكِ التَّتارِ المغولِ

رسالةٌ في أحوالِ المَغولِ منذ البِدايةِ حتى سُقوطِ بغدادَ

أقدم نص عن المغول 658 هـ - 1260 م



تأليف: حسين بن علي البطيطي

تقديم وتصحيح:
د. رسول جعفريان

ترجمة الدراسة عن الفارسية:
د. نصير الكعبي



المركز الأكاديمي للأبحاث

أحوالُ ملوكِ التَّتارِ المغولِ
المركز الأكادِيمي للأَبحاثِ

أحوالُ ملوكِ التَّتارِ المغولِ

رسالةٌ في أحوالِ المَغولِ منذ البِدايةِ حتى سُقوطِ بغدادَ
أقدم نص عن المغول 658 هـ/ 1260 م

تأليف

حسين بن عليّ البطيطِيّ

من علماء استرآباد من القرن السّابع الهجريّ

تقديم وتصحيح

د. رسول جعفريان

ترجمة الدراسة عن الفارسية

د. نصير الكعبي

أحوالُ ملوكِ التَّتارِ المغولِ

رسالةٌ في أحوالِ المَغولِ منذ البدايةِ حتى سُقوطِ بغدادَ

The Conditions of The Tatars- Mongols kings

تأليف: حسين بن عليّ البطيطيّ

تقديم وتصحيح: د. رسول جعفريان

ترجمة الدراسة عن الفارسية: د. نصير الكعبي

التقويم اللغوي: محمد وليد فليون

تصميم الكتاب وغلافه: المركز الأكاديمي للأبحاث

الناشر:المركز الأكاديمي للأبحاث
العراق - تورنتو - كندا

The Academic Center for Research

TORONTO -CANADA

موثق بدار الكتب والوثائق الكندية

Library and Archives Canada

ISBN : 978-1-990131-21-9

© Website: www.acadcr.com
Email: info@acadcr.com
nasseralkab@gmail.com

بيروت الطبعة الأولى 2021

توزيع: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر:
بيروت - لبنان 2047-7611

الجناح - شارع زاهية سلمان - مبنى مجموعة تحسين الخياط

Fax: +961-1-830609
Tel:+961-1-830608

Email: tradebooks@all-prints.com
Website: www.all-prints.com

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين

مقدمة

ربَّما يسودُ تصوّرٌ مع وجودِ مصادرَ ذات قيمةٍ كبيرةٍ، مثل: «تاريخ جهانگشاى» الجويني، والقسم المتخصص بالمغولِ من كتابِ «جامع التَّورايخ» لـ رشيد الدّين، ففي هذه المصادر كلّها تفاصيل دقيقة عن المغول، ولذلك قد يسود اعتقادٌ في البدءِ أنَّنا لا نحتاج إلى مصادر أخرى؛ لكن يوجد مصادر فارسيَّة تُعدُّ قيمتُها عاليّةً، مثل: كتاب طبقات ناصري، وآثار حافظ إبرو، وكذلك المصادرُ العربيَّة والمصادر المكتوبةُ بلغاتٍ أخرى، فهي تضيء تاريخَ المغول، وقد وردَ بحثٌ دقيقٌ عن مصادر دراسةِ المغول في كتاب «إشبولر» عن تاريخ المغول في إيران[1]؛ إذ تُعدُّ مادته جديرةً بالقراءةِ، وقد حلَّل المصادر الفارسيَّة والعربيَّة والسّريانيَّة والأرمنيَّة والرُّوسيَّة والمغوليَّة ونقدها، وعلى الرَّغم من قِصرِ تحليله، فإنَّه كان دقيقاً ومفيداً.

وفي هذا الحقل نكتشفُ نصّاً جديداً عن المغول وحملتهم على إيران وبغداد، وقد كُتِبَ بلغةٍ عربيَّةٍ، وفيه خصلتين أساسيتين، هما: أولاً يُلاحظ على المؤلفِ في كتابِهِ الرّوح والحسّ الإيراني القومي، وثانياً أنَّه كُتِبَ بوساطة أحد علماء الشِّيعة الإماميَّة، وعن الحسِّ الإيراني في المصادر الأخرى فإنَّه يُمكن مشاهدته أيضاً، غيرَ أنَّ الميول الشِّيعيَّة

(1) تاريخ مغول في إيران، إشبولر، طهران، علم فرهنكي، ص 3-86.

تكتسبُ أهميَّةً كبيرةً عند النظرِ إلى حملة المغول من زاويةٍ مغايرةٍ، وفي هذا الباب فإنَّ مجملَ المخالفين للشّيعة أظهروا مطالباً في المصادر العربيَّة وكذلك في المصادرِ الفارسيَّة؛ بينما في هذا الكتاب هنالك مطالب تتعلقُ بالمغول وحملتهم منذ البداية، وحتى سقوط بغداد من وجهةِ نظرِ عالمٍ شيعيٍ إيراني وعربي.

وتأتي أهميَّةُ هذا المصدر من أنَّه كُتِبَ في سنة 658؛ أي بعد سنتين من سقوط بغداد سنة 656، ولذلك فإنَّ أهميّته تأتي من قربه الزّماني والمكاني من تلك الأحداث، ولا نعلم بدقةٍ أيّ فكرٍ تأريخي يحملُ المؤلفُ في هذه الرِّسالة. وعن المآخذ عليه فإنَّه قد نقلَ إشارات ناقصةٍ في مَطلعِ الرِّسالة فيها مطلبٌ أو مطالب عن (قراقروم) عاصمة المغول في عصرِ «منكو خان»، ولم يُغطِّ بصورةٍ كاملةٍ منشأ المغول وأصلَهم، وبدايةَ قدرةِ «جنكيز خان».

وفي حالِ الحديث عن كتابةِ المؤلف التّاريخيَّة، فإنَّه من غيرِ الممكن مقارنته بصورةٍ كاملةٍ بالكتابات التّاريخيَّة المستقرة، أمَّا فيما يتعلق بأسلوبِه الأدبي، فإنَّه من المُمكن الحديث بصورةٍ ثابتةٍ عن فصاحته المُطلقة في الأدب، وتسلطه الكبير على نصوصِ الأدبِ العربي القديم، ومع هذا فإنَّ في الكتاب مرورٌ عامٌ على قصةِ المغول منذُ بداية سلطتهم وحتى سقوط بغداد.

لم يكن المؤلفُ مسلطاً على التّاريخ، غيرَ أنَّ له في هذا النصّ أهميّة كبيرة بسبب قِدَمه وتفاصيله الّتي نقلها من داخلِ الأحداث، وتزداد قيمةُ هذا الكتاب عندما نَعرِفُ أنَّ مروياته كانت متناقلةً من لسانٍ إلى آخر بطريقةٍ

شفويّةٍ؛ ولذلك يُصنَّف المصدرُ الحالي على أنّه من مصادرِ الدَّرجة الأوّلى.

المؤلف ونسخة رسالته:

كَتبَ في سنةِ 630هـ كاتبٌ من أهلِ الرّي في شيراز اسمه محمد بن حسين بن حسن الأبي الرّازي كتاباً سمّاه «تبصرةُ العوام في مقالات الأنام» باللُّغة الفارسيَّة، وجاءَ في نهايةِ النّسخة العربيَّة لهذا النصّ:

(فرغ من تحريره هجرة يوم الجمعة عشرة شهر الله المبارك شعبان عظم الله ميامنه من شهور سنة ثلاثين وستمائة ببلد شيراز أضعف خلق الله وأحوجهم إلى غفرانه محمد بن الحسين بن الحسن الرازي غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات بمنّة وجوده)[1].

طُبعَ هذا النصّ باللُّغة الفارسيَّة في سنة 1313هـ، وحقَّقه «عباس إقبال»، والكتاب فيه عددٌ كبيرٌ من النّسخِ الخطيَّة (بلغَت كتابةً 60 نسخةً)، وهذا يدلُّ على أنَّ للكتاب المذكور أثرٌ مهمٌ، وفائدةٌ كبيرةٌ في إيران.

ولدى محمد بن حسين الآبي الرّازي العالم أيضاً كتاب اسمه «بستانُ العوامِ ونزهةُ الكرام»، نشرَه «علي شيرواني» في مجلدين، وله أيضاً كتاب آخر، بعنوان «كفايةُ الأنام في الفقهِ الفارسي»، وقد حُقِّقَ وطُبعَ على يد كاتب هذه السّطور.

بعد تأليفِ «تبصرة العوام» في سنة 658هـ، ولاحقاً بعدَ قرابة 28

---

(1) اقتبس من النسخة الحصرية للترجمة العربية لتبصرة العوام.

سنة من تأليفِه تُرجِمَ إلى العربيَّة على يدِ عالمٍ شيعي في «أستراباد»، عُرِفت هذه التَّرجمة منذُ عشرات السّنين، وحُفِظت في مكتبةِ مجلسِ الشّورى الإسلامي. رقم 2 ص10 (سنا/ مجلس الشيوخ السابق).

واقتبست من هذا الكتاب مقدمة «نزهة الكرام» وبعض المصادرِ الأخرى، ولا نمتلك معلومات مفصّلة عن أحوالِ كاتبِ هذا الأثر، وهو حسن بن علي البطيطي؛ لكن يتَّضحُ من خلالِ رسالته الحاليَّةِ عن المغول أنَّ لديه علوَّ كعبٍ في اللُّغة العربيَّة، وأنَّه قد نَظَمَ الشِّعر العربي الفصيحِ اللافت للانتباه، وذلك اعتماداً على ما أورده المرحوم «دانش بزوه» في مقدمةِ النهاية «تعليقات باسم البطيطي الحافظ»، وكانت تعليقاته على نسخةِ النهاية للشيخ الطُّوسي، الّذي أتمَّ كتابته في شهرِ محرم سنة 627هـ، والنّسخة المذكورة يملكُها شخصٌ اسمه نور الدين إبراهيم ابن أفراسياب الطَّبري أفروز آبادي، وذلك في سنة 644هـ، وهذه الملكيَّة كُتِبت بخطِ البطيطي الحافظ.

في المصادرِ وُجِدَ لقب «البطيطي» مرةً واحدةً متعلقاً بـ إبراهيم بن خالد الحفظ، والمعروف بالبطيطي، بناءً على قول الصَّفدي المُتوفى قبل 250هـ[1]، وبحسب ابن منظور: البطيط يعني الأمرَ العجيب؛ «جاء بأمرٍ بطيط أتى بعجيبٍ»، وتأتي بمعنى نعل دون ساق، وهذا يبدو إشارة إلى إحدى أنواع المهن، وبطيّط قرية في مصر جاء اسمها في قوانين الدّواوين (ابن مماتي، القاهرة، 1411، ص184، كذلك انظر تاج العروس: 14/ 161). ولُقِّبَ كاتبنا باسم «أسترابادي»؛ لكن ما العلاقةُ الرَّابطةُ ما بين الاثنين؟ وهنا أمرٌ يحتاج إلى تأملٍ، ففي معجمِ قبائل العربِ كحالة

(1) الوافي بالوفيات، ج5، ص345.

(32/4) جاء عن (البو بطيط) بعنوان قبيلة، وهي قبيلةٌ قديمةٌ أو جديدةٌ، ولم يذكر تفصيلاً عنها.

وكما ذُكِرَ سابقاً فإنَّ النّسخةَ الموجودة لهذه التَّرجمة قد كتبت بيدِ شخصٍ اسمه حسين بن محمد، قبلَ ظهرِ يوم الجمعة الخامس من جمادى الثّانية سنة 898، في مدرسةِ الفقيه القاضي كامل الفقيه أحمد يوجاني، وجاءَ في ذيلِ هذه النّسخة «قال النّاقل المعرّب: فها نحن نقطع الكلام بحمد الله تعالى وجميل لطفه وكرمه وجزيل منّه ونعمه، فإنّه الموفّق لإتمام الأُمور والموصل لأواخرها بالصّدور في أواسط رجب سنه ثمان وخمسين وستمائة»، ثمَّ جاءَ بعده «تمّ هذه الكتاب بعون الله تعالى ومنّه، وصلى الله على خير خلقه محمد المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه قبليّ [قبيل] وقت الظهر من يوم الجمعة في شهر الله المبارك في الخامس من جمادى الآخر في تاريخ سنة ثمان وتسعين وثمانمائة من هجرة المصطفى خير البرّية، على يدي العبد الفقير حسين بن محمد ـ غفر الله ذنوبهما وستر عيوبهما ـ في مدرسة الفقيه الفاضل الكامل الفقيه أحمد يوجاني[1] أطال الله تعالى [بقاءه] بحقّ محمّد وآله أجمين [أجمعين]».

حُفِظَت هذه النّسخة في مكتبةِ سنا، وهي مكونةٌ من (188) لوحاً، ويحتوي كلّ لوحٍ على صفحتين متقابلتين بالرقم (1377).

---

(1) «يو» لم ترد أية نقطة في هذه النسخة.

علاقةُ ترجمة تبصرة العوام بالرِّسالة الحاليَّة:

إنَّ علاقةَ رسالة أحوال التتر بالنصِّ العربي للتبصرة ومترجم التَّبصرة؛ أي حسين بن علي البطيطي، فكتاب تبصرة العوام الّذي يتكوَّن من 26 باباً، وعند ترجمته إلى العربيَّة شيئاً فشيئاً أُضيفت إليه مطالب صغيرة جدّاً.

أحدُ تلك المطالب المهمةِ والمثيرةِ للانتباه، الملحق في الباب 27، فالكتاب كان في أصله 26 باباً، والباب 27 بالدقة يمثّل هنا عنوانُ أحوال ملوك التَّتار الّذي نُقدّمه للقراءِ الكرامِ، وفي الوقت الّذي كنت مشغولاً فيه بتحقيقِ كتاب «كفاية الأنام» وكتابةِ مقدمته، كنت أبحثُ عن كتابات أخرى للرازي، وضَمَّنت في هذه المقدمة بعضاً منها، ففي هذه الدِّراسة، وبإشارةٍ من الصّديق السيد «بهراميان» فإنَّ إحدى الملاحظات هي أنَّ التَّرجمة العربيَّة لتبصرة العوام تضمَّنت باباً عن المغول من المترجم؛ أي البطيطي.

يَذكر في عبارة تلفيقيَّةٍ في نهايةِ ترجمة «التَّبصرة» أنَّ شروعَ الكاتب في استمراره إلى المترجم؛ يعني البطيطي؛ شرحاً لهذه المسألة الإضافيَّة عن طريقِ أحد الفصول، وهو عن المغول، بعنوان «كتاب تبصرة العوام»، وجاء فيه الآتي: «ثمَّ إنَّ الناقل لهذا الكتاب من العجميَّة إلى العربيَّة، وهو المولى الأعظم قدوة المحققين أفضل المتأخرين الحسين[1] بن علي البطيطي الحافظ لما بلغ إلى ههنا من الكتاب مُعرّباً له، في بلدته أستراباد- حماها الله من طوارق الحدثان، وإن كان لم يبق منها إذ ذاك إلاّ شفا جرفٍ

---

(1) ذكر في آخر نصّ هذه الرسالة حسب قصيدة البطيطي حول سقوط بغداد.

هارٍ من كثرة فتن تأتيها، وعليها ينهار ـ في العاشر من رجب من سنة ثمان وخمسين وستمائة [قال:] أُحبّ أن أختمه بشيء من تواريخ أحوال ملوك زمانه وما وجله من شرور الدهر بعيانه، من جملة من الكلام في تقرير ابتداء ظهور ملك التّتار الأمغلة، الذين استولوا على ملك الدنيا واستعبدوا أهلها من أقصى بلاد الترك إلى الروم عرباً وعجماً ضرباً بالسيوف وحطماً للصفوف بعد الصفوف. فَسبّعتُ السادس من الباب السادس والعشرين فقلت: ...»، وعلى هذا المنوال يبدأ ترتيبُ الباب السّابع والعشرين.

إنَّ هذه الرّواية من الكاتب «حسين بن علي البطيطي» الّتي كتبها في أستراباد على عجالةٍ، والّتي جعلته ينتسب ويُلقَّب «أسترابادي»، هي من أجلِ حفظِ ذكر أستراباد من نوائب الزَّمان، وقد أشار إليها بـ (على شفا جرف...).

وهذا يُلمِّح إلى أنَّ وضعَ المدينةِ كان على حافةِ الهاوية، ويَذكُر «البطيطي» أنَّ هذه المطالب قد سَمِعها من صديقٍ أمينٍ وعزيزٍ عليه اسمه «أمين الدّين محمد بن أميركان الأسترابادي»، وكذلك قد سَمِعَ أخباراً أخرى ونقلها من شخصٍ اسمه «محمد الخفاف»، وعلى ما يبدو كان في «قراقروم» عاصمة المغول.

لكن؛ يبقى السّؤال الأكثرَ أهميّةً ما مقدارُ المعلومات الّتي نقلها من الشّخص المسمى «محمد الخفاف»؟، وما المعلومات المتعلقة بشخصِ «حسين بن علي البطيطي» نفسه؟، وهنا أمرٌ غيرُ واضحٍ؛ لكن من الممكن وضع احتمالٍ والقول إنَّ بعض الأحداث في رسالةِ أحوال

التّتار والمتعلقة بأسرةِ «جنكيز خان»، والحوادث الأوّلى لتشكيلِ سلطنة المغول حتى خليفته قد نُقِلَت من ذلك الشّخص، أمّا بقية المطالب الأخرى المتعلقة بقلاعِ الإسماعيليَّة وفتحِ بغداد، فقد جاءت عن طريق «البطيطي» نفسه، وهذا مجردُ احتمالٍ.

ووردت العبارة الأوّلى في هذه الرّسالة «اعلم أنّه حكى ليَ الأمناء، وهو حبيبنا الأعزّ أمين الدّين محمد بن أميركان الأستر آبادى قال: حكى لَي بقراقورم[1] محمد الخفّاف عن بعض المغالين الذي كان شيخاً دهرياً من جملة من تقرّب بآل جنكيز خان، وتعرّف من حالهم مشاهدةً وعياناً».

ومرةً أخرى نَقَلَ مطلب عن الأمراءِ الإسماعيليَّة وقال: «وكان على ما سمعنا قد قتلَه أحد بنيه عمّا قريب...»، ويبدو أنَّ جملة «البطيطي» هذه تُظهِر أنَّ أخباره قد جمعها من مصادر معتمدة.

أمّا عنوان أحوال ملوك التتر، فيُظهر أنَّ شخصاً ما قد كتبه، ففي المتن أُضيفت عبارةُ الأمغلة (وتعني المغول)؛ لكننا وضعنا في مكانِ عبارة الأمغلة (المغول)، ونعلم أنَّ مصطلح تتار له معنى دقيق، ويشتمل على مجموعةِ قبائل.

الّتي إلى جانبِ كثيرٍ من القبائل المغوليَّة والجلائريَّة الأخرى...، والّتي منها تعبيرُ التّتار[2]، وهو معنى عام وشامل لأقسامٍ مهمةٍ من

(1) في الأصل بقراقروم، مدينة قراقروم مدينة كبيرة بناها أوكتاي في سلطنته وأصبحت عاصمة المغول.

(2) حول مفهوم ودلالات التّتار بهذا المعنى الخاص انظر: جامع التواريخ (تاريخ المغول، ج1، ص57-71).

القبائلِ المغوليَّة الأخرى في المناطقِ الأخرى، وفي الرِّسالة الحاليَّة نستفيد من مجموعةٍ من العناوين ونستعملها، منها: التَّتر، والمغول، والمغال، وأمغل، وحتى (الترك) نستعملها للجيوش المغوليَّة.

عن تصحيحِ هذه النّسخة:

كما أشرنا سابقاً فإنَّ هذه النّسخة تمثّل القسمَ الأخير من الترجمةِ العربيَّةِ لكتاب «تبصرة العوام»، وقد تضمَّنت تاريخَ ترجمةِ هذا الكتاب وتأليفه من قِبل المترجم في ملحقٍ، وذُكِرَ ذلك سنة 658، وتاريخُ كتابته كانت سنة 899، ولهذا فإنَّ هذه النّسخة كُتِبت على نسخةٍ أخرى، ولا نعرف النّسخةَ الأصليَّة إلى أين قد ذهبت؛ لكن إجمالاً عند دراسةِ هذه النّسخة يَظهَر لنا أنَّ كتابَتها ضعيفةٌ، وفيها بعض النواقص، وبعضُ الكلمات جاءت مبتورةً، مما أجبرنا على تصحيح النصِّ، ففي بعض المواضع حُذِفت كلمات وصُحِّفت أخرى ووردت أغلاطٌ كثيرةٌ؛ لذا صححناها في الحاشية، وفي بعضِ الأحيان احتملنا بعضَ الكلماتِ وأثبتناها في المتنِ بصورتها الصَّحيحة، وثبتنا في الحاشية شكلها الخاطئ، وحذفنا بعضَ الكلمات الخاطئة وثبتنا الصَّحيحة في المتن، وأرجو ألّا يشعر القارئ بالقلق من هذه التَّغييرات والمشكلات الّتي وردت في المتن، لأنَّنا سنرفق مع المتن المُصحح الحالي نسخةً مصورةً من المخطوطِ، ليتمكن أيّ شخصٍ من مطالعتها، ويلاحظَ أصلَ المتنِ مقارنةً بالمصحح.

استخدم المؤلفُ مكانَ عبارةِ (المغول) أحياناً كلمةَ (المغال) وجمعها (أمغل)، واستخدم أيضاً مرادفات أخرى لهذهِ الكلمة؛ أي: (المغال، والمغول)، لذلك غيّرنا هذا التّعبير إلى تعبير المغول، وفي بعض الأحيان

احتفظنا بكلمةِ الأمغل.

وغيّرنا أيضاً بعضَ الشيء في ضبطِ بعض أسماءِ الأفراد، ودوّنا ذلك في الحاشيةِ، وصححنا بعضها الآخر، علماً أنّه كان من الصَّعبِ في النّسخة أحياناً التّمييز والوضوح تلك العبارات الموجودة أصلاً في المتن.

ولم نتوقف كثيراً على مواردِ الأعرابِ الموجودةِ في النّسخةِ الخطيّة، الّتي فيها بعض المشكلات أحياناً، ويستطيع الباحثُ أن يراجعَ النّسخة الأصليّة المرفقة من أجلِ معاينةِ تلك الأخطاء، وتتكوّن المخطوطةُ من ص1 حتى ص24، وأثبتنا ذلك في أصلِ المتنِ المصححِ، فأشرنا إلى رقمِ صفحةِ المخطوط.

وأرفقنا في نهايةِ المخطوطة 25 صورةً أو لوحةً من نسخةِ «جامع التّواريخ» المحفوظةِ في المكتبة الوطنيّة الفرنسيّة برقم (1113 Suppelment Persan)، كما أوردنا بعض اللوحات البانوراميّة من جنكيز خان حتى هولاكو، وسقوط بغداد.

وقد دوّنا في المقدمة الفارسيّة بعضَ الحواشي على المتنِ العربي، وشرحنا لغويّاً بعض العباراتِ، وفي الحقيقةِ فإنَّ هذا الأمرَ مفيدٌ جدّاً للباحثين في مجال الدّراسات العربيّة والفارسيّة، وأيضاً للمهتمين بدراسةِ العراق وإيران في الوقت نفسه، فلذلك يُلاحظ أحياناً استعمال الفارسي مكان العربي في أصلِ المتن والدّراسة.

وقد استفدنا في تصحيحِ العملِ من ملاحظات الأصدقاء، منهم: الصّديق العزيز جناب السّيد الأستاذ حسين توفيقي، والأستاذ الكريم

السّيد محمد رضا الحسيني الجلالي زيد عزه.

ومن المؤكد أنّه دونَ مساعدةِ هؤلاء لم يكن ليُكتب لهذا العمل أن يرى النّور، وفي هذه المناسبة يجب الاعتراف بأنَّ أيّ خطأ أو خللٍ فهو من خطأ المُحقق نفسه، ويجب الإشارة أيضاً إلى السيدة مريم صديقي الّتي أسهمت في تنضيدِ هذا العمل وتصميمه، فلها جزيل الشّكر.

ومن الأشياءِ الّتي يجب الإشارة إليها أنَّ هذه الدِّراسةُ للمخطوطِ كُتِبت باللُّغة الفارسيَّة، وقد رَكَّزت فيها على المقارنةِ بين محتواها ومحتوى المصادرِ الأخرى التي أشارت إلى المغول، أمَّا قضيةُ ترجمة النصّ الكامل إلى الفارسيَّة فأعتقد أنَّ هذا العمل يحتاج إلى مترجمٍ متمكنٍ من اللُّغة والأدب الفارسي والعربي، من أجلِ ترجمته.

وربَّما يُمكن في المستقبل إعادةُ ترجمةِ هذا العمل، وفي النهاية لا بدَّ من الإشارةِ إلى أنَّ هذه الدِّراسة لم تركز بصورةٍ كاملةٍ على العبارات أو الافكارِ الموجودة في المتن كلّها، وإنَّما تركت كثيراً؛ ولا سيّما المعروف منها.

طهران 10-9- 1394

1437-2-19

مقارنةٌ بين محتوى الرِّسالة والمصادر الأخرى

مجيء المغول:

إنَّ ظهورَ المغولِ وتغلّبهم على الدّويلات الشرقيَّة والغربيَّة فيه كثيرٌ من القصص والرّوايات المتشابهة في التّاريخ؛ لكنَّ اللافت للانتباه أنَّ هذه القبائل المتفرقة والّتي تَغِير وتغزو، تتحد مرةً واحدةً، وتُشكّل جيشاً كبيراً تحت لواءِ قائدٍ قوي، وتُسقِط القبائل والدُّول الّتي في محيطها جميعها[1]، وقد سيطروا على القسمِ الكبيرِ من آسيا، الّتي تُعدُّ أكبَر قارةٍ مسكونةٍ «مما كان عليه خصة مع من القوة والعدة وما تهيأ لأعدائه من الكثرة والشوكة حتى كان كل واحد منهم فغفور وقته وكسرى زمانه، فقد خرج إليهم بنفس واحدة، مع قلة عدد ويد خالية من العدد، فانظر كيف أذل جبابرة الآفاق في المشرق والمغرب وقهرهم، وأما من كان يصدى لقتاله ونزاله، فإنه وفقا لحكم الياسا الذي لا إبرام فيه، يقوم بالقضاء عليه وعلى أتباعه وأشياعه وأولاده وجنده كلية ويدمر بلاده ونواحيه»[2].

والجزءُ المهمُ من سيطرتهم على القسمِ الغربي فقد أسقطوا الخوارزميين، وتغلّبوا على الدّويلات المحليَّة حتى أقصى نقطةٍ في الشَّمالِ

(1) يعدُّ وصف الجويني أفضل التوصيفات انظر: تاريخ جهانكشاي، ج1، ص15.

(2) تاريخ جهانكشاي، ج1، ص17.

والجنوب، ثمَّ تسلَّطوا على العراق، وتوجهوا نحو الشام، وأصبحت هذه الجهات جميعها مغوليَّة.

وعلى أيّة حال فإنَّ جميع هذه المناطق المتمدنة من العالمِ القديمِ والقوية أصبحت لها وجهة مغوليَّة، فجميعها سقطت أمامَ المغول.

ولاسم المغول عند النّاطقين بالفارسيَّة، والعربيَّة، والأرمن، والكرج والروم، وكثير من الثّقافات المحليَّة أهميَّةٌ كبرى، وكانت النظرةُ إجمالاً مختلفةً في لحاظ كلّ مؤرخ، فمنذ سنوات حوادث المغول إلى استقرارهم، وتشكيل الدّولة الإلخانيَّة وبقاياها حتى منتصفِ القرن الثّامن، نجد نظرات إيجابيَّةٍ وأخرى مخالفة، وهذا متعلقٌ بقدر كلّ منطقة والضَّرر الّذي لحقَ بها، فبعض المناطق تعرَّضت لهجومٍ عنيفٍ وأُزيلت، كذلك التّأثير المتبادل الّذي أحدثه المغول أو الّذي أحدثه سكان تلك المناطق.

وإجمالاً فإنَّه يجب الفصل بين المسلمين في الشَّرق والمناطقِ الأخرى الّتي يوجد فيها العرب والمسلمون في مصر والشّام والعراق، عن مناطق الصّين وبلاد المغول حتى نواحي غرب إيران، وهنالك نظرتان مختلفتان في المغول.

وعموماً فإنَّ المناطق التي واجهت المغول بالمقاومةِ لم تفلح، فعلى الرَّغم من المواجهة الّتي حاولها كلٌّ من الأمراء الخوارزميين والأمراء المحليين قبالةَ جيوش المغول، فإنَّهم لم يحققوا نجاحاً، وتعرَّض هؤلاء إلى خطرٍ كبيرٍ على مستوى الهويَّة ودينهم، وإنَّ بعض الملكيات في هذه المناطق كانت تتعرض إلى مخاطر وجوديَّة، وهذه المقاومة لم تصل إلى نتيجةٍ، وعندما لم يجد كثيرٌ من النَّاس فائدةً من تلك المقاومةِ اتبعوا المغول.

وهنالك قسمٌ آخرٌ من النَّاسِ بادرَ إلى إطاعة المغول والإفادةِ من أسلوبهم، فالمغول سعوا إلى منحِ النَّاسَ بعض الحريات والاحترام بما يتعلق بالدّين والعادات والتَّقاليد، ويبدو أنَّ «الجويني» كان واعياً بتلك التَّصرفات من المغول وكان على قربٍ منهم، فيذكر: «فقد نظروا إلى المسلمين بعين الاحترام وأعزوا الوثنيين وعبدة الأصنام وتركوا حرية الأولاد والأحفاد باختيار المذهب المناسب لهم، فبعضهم تقلّدَ الإسلام، وبعضهم اعتنق المسيحيَّة، وطائفة أخرى بقية على عبادة الأصنام، ومجملاً لم يميلوا إلى أيّ طرف من تلك الأطراف»[1].

وكان «الجويني» على هذا النوع من الفكرِ، فقد أسس - بحسب رؤيته - عالماً جديداً فيه المقاومة اللا نافعة، وحثَّ السَّير على هذه الخطى الجديدة، فهو لم يكن من أهلِ المقاومة، وقد طرحَ ذلك في بعضِ نصوصه: «والآن في عهد منكو قا آن خصوصاً، حيث شُرف كثير من الأمراء من أولاد وأحفاد جنكيز خان وأرومته بشرف الاسلام، وجمعوا بين عز الدّين وسعادة الدنيا، وقد تزين كثير من أتباعهم ورسلهم وخدمهم بحلية عز الدين، وهم كثرة لا يمكن عدهم أو إحصاؤهم. ومما سبق وفقا لما يمليه العقل تتضح ضرورة التمسك بالحكم الرباني (وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا)[2] والإذعان لهم والانقياد لحكمهم وترك العناد والعصيان»[3].

وأعتقدُ أنَّ المسلمين حسبوا أنَّ هذا الشيء من القضاءِ والقدِر، فقد

(1) تاريخ جهانكشاي، ج1، ص18.

(2) الأنفال: 21.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص11.

جاءت دولةٌ عظيمةٌ وسيطرت على هذه النَّواحي كلّها، وبحسب قول «رشيد الدين» الّذي يؤيد هذا الأمر: (إنَّها كانت مؤيدةً بأنواع التّأييدات السَّماويَّة)، (وفي أزل الآزال الله أراد أن يكون ملك العالم)[1]، وبذلك وعوضاً عن المقاومةِ فإنَّه من الأفضلِ التَّسليم بالقضاءِ الإلهي، وقد صُوِّرت تلك الأوضاع على أساس أنَّها نوعٌ من النبوءات للرسول[2]، وقد صُوِّرَ أنَّ هذا نتيجةٌ لظلمِ الأمراء والملوك المسلمين وجَورهم في تلك النّواحي[3].

بعدها تدريجيّاً دخلَ المغول الإسلام، ويُلاحظ أنَّ «جنكيز خان» وبعده «أوروغ» وأولاده قد سَعوا إلى إظهارِ انتمائهم، وفي بعض الأحيان منازعاتهم حول هذا الأمر، ويُشير رشيد الدّين إلى هذا بوضوحٍ عندما يذكرُ أنَّ «كوجلك» قد حطَّم بيت الأصنام لأنَّه تعرَّض إلى الدّين المحمَّدي[4].

---

(1) جامع التواريخ، (تاريخ المغول، ج1، ص219).

(2) منهاج السراج، الذي كان يحمل على المغول، والذي كان يعيش في الهند رأى أن من مكان حملة المغول فيه كان الأمان، وأن المكان الذي سيطر عليه المغول في بلاد ما وراء النهر الذي كان يطلق عليه دار الإسلام تبدل بدار الكفر، وذكر أحاديث عن ظهور المغول، انظر، طبقات ناصري، ج2، ص190، وهو عند تناوله في بداية الحديث عن المغول أشار إلى هذا الأمر (ج2، ص91) قبل الحديث عن أصل هؤلاء ووقت خروجهم، وأورد فصل فيه أحاديث عن خروج هذه الطائفة الموعودة.

(3) فقد نقل رشيد الدين في سير الحوادث حول فتح بخارى على يد جنكيز خان القول الآتي: «هؤلاء أي قوم نعرفهم فهم ضالين ضلالة كبرى، وضمائرهم وقد أضلوا قبلهم»، جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج2، ص361.

(4) جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج1، ص338.

ونضجَ هذا الأمرُ بوضوحٍ وخصوصاً في زمان «منكو اغا خان» وأولاده، فأظهروا تعاملهم ورسومهم مع الأديان والمِلَل المختلفةِ، ويلاحظ وجودُ نوعٍ من التَّوظيف السِّياسي في التَّعامل الدِّيني مع الأديانِ والأقوام المتنوعة، وهذا المطلبُ يتَّضح بصورةٍ كبيرةٍ في مقدمةِ كتاب «الجويني» عن تاريخ المغول؛ إذ لا توجد صعوبةٌ في ملاحظتِه.

رواية رسالة أحوال تاريخ المغول:

لديّنا نصّان فارسيّان كُتِبا عن المغول، ويعودان إلى العشرةِ الأوّلى من ظهورِ المغول الأوّل كتاب «طبقات ناصري»، والثّاني «تاريخ جهانگشاى» للجويني.

وهنالك كتابٌ آخرٌ مهمٌ يمتاز بسبكِه التَّاريخي القوي ورؤيته المتفاوتة مع الآخرين، وهذا الأثر هو «جامع التَّواريخ» لـ رشيد الدّين فضل الله، وتعدُّ هذه المصادر الثّلاثة المكتوبة باللُّغة الفارسيَّة عن تاريخ المغول، وبعدها ظهرَت أيضاً مصادر أخرى في هذا الباب.

وهنا نسعى إلى مقارنةِ كل روايات هذه المطالب مع رواية كتاب «أحوال ملوك التّتار»؛ لبيان أهميَّةِ هذه الرِّسالة من مجموع هذه المصادر الأساسيَّة.

جنكيز خان وبدايةُ حوادثه:

ظهرت في «رسالة الأحوال» روايةٌ عن الأيام الأوَّلى لظهور «جنكيز خان»، وأخذت الطَّابع القصصي، فظهر «جنكيز خان» على هيئة حدادٍ،

وعلى الرَّغم من شجاعته؛ لكنَّه لم ينل الرئاسةَ، غيرَ أنَّ قومه وقبيلته، وفي زمن الأزمات الكبيرة الّتي يواجهونها، والضَّنك، وزيادة الاضطرابات المحليَّة، نظروا إليه بمنظارِ القائد، ولذلك توجهت قبيلته إلى انتخابه رئيساً لها.

لم يقبل «جنكيز خان» بذلك في البدءِ؛ لكنَّه لمّا لاحظَ إصرارَ قبيلته على ذلك الأمر تقبَّله، وبهذا فإنَّ «جنكيز خان» من ناحيَّة الأصل والنَّسب ورئاسة القوم لم يكن لديه شيء، وهذا ما ورد في رواية «الأحوال».

أمَّا الرّواية الّتي جاءت عند «الجويني»، وهو المؤرخ الرَّسمي للمغول، فنجد تفاوتاً كبيراً ما بينها وبين رواية «رسالة الأحوال»، فهنا اسم «جنكيز خان» جاءَ «تومانجين»، وهو من قبيلةِ (قيات)، (وأجداد جنكيز خان هم كانوا رؤساء القبيلة ويتنسبون إليها[1])، أمَّا رشيد الدّين فقد كتبَ روايةً مطولةً عن طوائف المغول، وشرح قبيلة «جنكيز خان»، وعدد أجداده واحداً تلو الآخر، وفي ذلك يقول:

«وكان اسمه تموجين (بن يوسكاي بهادر) وكان عمره ثلاثة عشر سنة، وقد فَقَدَ أبيه، ولذلك تبناه أقاربه، وعندما قهرَ «خان» ملك كرايت أطلقوا عليه «جنكيزي»؛ ويعني الملك المعظم، وبعد ذلك عندما قتل «تاينك خان» ملك النَّيمانيِّين، فأطلقوا عليه في هذا الوقت لقب جنكيز[2]، وفي أخبار «جنكيز خان» نجد أحداثاً كثيرةً، منها جزئية ومفيدة في هذا المصدر.

---

(1) تاريخ جهانكشاي، ج1، ص26.

(2) جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج1، ص221.

وتوضِّح رسالة الأحوال حول «جنكيز» أنّه حالما تَسلَّم الرئاسة كان الفسادُ شائعاً، والسَّرقة زائدة والغارة في قبيلته، فسعى إلى تأسيس أو إصدار قانونٍ لنظم ونظام القبيلة سمّاه (ياسا) فتقبله الجميع، وورد ما يناظر هذا التَّوصيف في تحليل تاريخ «جهانگشاى» (فأصبحت القبائلُ لوناً واحداً، وسادَ بينها العدل، ورفعت عنها المستنكرات من عادات السَّرقة والزّنا)[1].

وفي هذا يعدُّ منهاج «السّراج» أكثرَ المصادر عدائيَّةً ضدَّ المغول، فذكرَ خصائصَ مهمة عن «جنكيز خان»، وكان جنكيز خان عادلاً، ولم يظهر في جيشه ما يخالف ذلك، ولم يعتدِ على أحدِ الملاك، ولم يوجد من هو سارقٌ أو كاذبٌ في جيشِه، وقد رفع كل العورات عن عجلٍ من خراسان، فلم يشع الكذب ما بين الناس، وهذا واضحٌ وجليٌّ في عصره[2].

الحرب مع النَّيمانيِّين:

النَّيمانيّون أحد الطوائف التي استوطنت الصَّحراءَ الواقعةَ على حاشيَّةِ الأراضي المغوليَّة، وكانت أوّلى المعارك التي خاضها معهم «جنكيز خان»، والّتي تتصل بأراضي المغول، ثمَّ جاء بعد ذلك وادي (قراقروم) على يد «أوكتاي»، وكان يقع هؤلاء ما بين الاثنين[3].

(1) تاريخ جهانكشاي، ج1، ص28.

(2) طبقات ناصري، ج2، ص144-145.

(3) حول هؤلاء انظر: جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج1، ص95-99.

إنَّ أحداث الحرب بين «جنكيز خان» و«النّيمانيّين» كانت تمثّل البند الثّاني من «رسالة الأحوال»، وجاءت بصيغةٍ قصصيّةٍ، فكان هؤلاء؛ أي النَّيمانيِّين يعيشون في عصرٍ واحدٍ، وتحت سلطة «كوجلك خان» (أو كوشولوك: بمعنى الملك العظيم)، وهو ابن تاينك خان، وذكره «الجويني» خطأً بأنَّه خليفة «أونك خان»، وقبل ذلك قد تحارب معه «جنكيز خان»، أمّا رواية رشيد الدّين الدقيقة فقد صحَحت ذلك[1]، فقد أورد رشيد الدّين تفاصيلَ حربِ «جنكيز خان» مع النّيمانيّين وخسارتَهم أمامه، وذكر أنّه بعد هزيمتهم أصبح هنالك مجلسٌ عظيمٌ للمغول (يصلُ حدوده حتى نهر أومنك)، ولذلك أُعطي «جنكيز خان» لقبه[2]، وبإمكاننا أن نعطي مثالًا واحداً على العناوين الّتي أطلقها «جنكيز خان» عن إطلاق هذا اللقب عليه؛ إذ يُمكن مراجعة المصدر نفسه[3].

وكانت من نتائجِ الحرب مع النَّيمانيِّين سيطرةُ المغولِ على أراضٍ واسعةٍ واقعةٍ في الغرب، ومتصلةٍ بأراضي الخوارزمشاهيين، وكانت هذه المعارك تدور قرابةَ سنة 604هـ، فقد اتّحد «محمد خوارزمشاه» مع «كورخان قراتي» واتفقوا على تقسيم الأرض الّتي بينهما.

وكانت هذه الأراضي هي الحدّ الفاصل بين المغول والخوارزميين، وكما نعرف فإنَّ الخوارزميين مع «كوجلك خان القراخانيين» كانوا يمثّلون فاصلاً مهماً إزاءَ هجوم المغول، وحينما كان «جنكيز خان»

(1) جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج1، ص96.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص97.

(3) المصدر نفسه، ص268.

يتحرك باتجاهِ الغرب حول أراضي السّلطان، كان قد استطاع أن يهزمَ «كوجلك خان»، ويسيطرَ على أراضي الخوارزميين.

وبهذا فإنَّ المقصود من هذا المتن الّذي يحمل صورةً قصصيّةً متعلقةً بحربِ «جنكيز خان» مع النّيمانيّين، ويجب القول إنَّ رواية كاتب «الأحوال» كانت بصورةٍ عامةٍ محدودةً وقصيرةً، وأظهرت الجوانب الحربيَّة ما بين تلك القبائل؛ لكن مع هذا يجب عدمُ نكران أنَّ جزئيات مهمة في «رسالة الأحوال» قد جاءت ببعض النكات المهمة، الّتي تروي تفاصيل جوهريَّة عن حروب «جنكيز خان» الأوّليَّة مع النّيمانيّين، وكيف أنَّه في حملات متعددةٍ قد أوقفهم.

تناول الكاتب هذه الموضوعات بقلم أدبي جميل، وقد أشار إلى بعض الجوانب الأمنيَّة في تلك الجبال إبانَ تلك المعارك، ويُمكن جمع هذه التَّفصيلات كلياً في قوله: «حتى إذا استناموهم ذات يوم هجموا عليهم وقتلوا كثيراً منهم وانهزم الباقون فاستحوذوا على وفورهم وأموالهم وخيلهم وإبلهم وغنمهم، وصاروا مثريين أغنياء».

وبالإجمال فإنَّ رشيد الدّين قد أفردَ تفاصيلاً عن الفتوحات الأوّليَّة لـ «جنكيز خان» عندما ذكره مُترأساً للمجلس الكبير، فيذكر على وجه الخصوص معاركه مع النّيمانيّين عندما عزمَ أخذ «بيرق خان» أخو «تاينك خان» الذي كان مجهولًا في الحرب مع «قوشلاميشي»؛ لكنَّه فجأةً انكسر وخسر تلك المعارك[1].

---

(1) جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج1، ص97.

وبصراحةٍ فإنَّ قصةَ جلوس «جنكيز خان» بعد ظفره بالنَّيمانيِّين تشبه في تفاصيل كثيرةٍ أخبارَ رشيد الدّين، فقد نَصَّب المجلسُ العظيم «جنكيز خان» على عرشِ المملكة، وذلك بعد انتصاره على كلّ مخالفيه، وحدثَ ذلك في سنة [1]602.

جنكيز خان في الصِّين:

أَوردَ هنا راوينا حكايةَ «جنكيز خان» مع ملوك الخطا أو الصّين الّذين كان عليهم ألتون خان[2]، في هذه المعركة وبعد انكسار قوات الصّين[3]، حاصَر «جنكيز خان» «ألتون خان»؛ لكن لم يجد طريقَه إلى داخلِ المدينة، وبحسب رواية «الأحوال» فإنَّ شخصاً اسمه جعفر، أَطلقَ عليه مؤلف الكتاب، وبحسب تعبيره (الشِّيعي العربي)، كان من أهلِ البلدِ، وقد تواصل مع جيش «جنكيز» عند محاصرتهم خان أو بكين من أجل إرشادهم إلى داخلِ المدينة.

وقد نُقِلت هذه الحكاية بتفاوتٍ بوساطة كتاب «منهاج السّراج»، الّذي كتب: «حينما كانت أعدادهم كبيرة، وأصبحوا أكثر وقد وصل إلى سمع ألتون خان تلك العزيمة، فهيأ ثلاثة آلاف فارس حتى يقطع

(1) جامع التواريخ، تاريخ المغول، ص292، 307.

(2) جاء في توضيح رشيد الدين حول إطلاق منطقة الخطاي على الصين الآتي: (ولاية الخطاي هي الصين وولاية ماجين وهي مهاجين) يعني تسمى الصين الكبيرة، ولأن ولايتنا (إيران) قريبة من الهند وتوارد التجار إليها أكثر، فقد أطلق على هذه الممالك أيضاً بـ(ولايات أهل الهند) والتي يقال لها (جين) وما جين؛ لكن في الأَصل اللغوي مها جين، جامع التواريخ، تاريخ المغول، ص321.

(3) انظر جامع التواريخ، تاريخ المغول، ص323 وما بعده.

الطّريق على تلك الفئة فأرسل جنكيز خان شخص مسلم من بينهم باسم جعفر إلى ألتون خان يطلب برسالة الصلح أو الحرب، فسجن الرسول وتم بقاءه مدة في السجن؛ لكن هذا السجين استطاع بطريقة أو أخرى أن يفرّ ووصل إلى جنكيز خان عن طريق مختفي وتكلم له عن حالة الأوضاع هناك وأخبره عن الطريق الذي سلكه»[1].

استمرت حروبُ «جنكيز خان» لثلاث أو أربع سنوات في الخطا، ومن غيرِ الممكن الحديث عن تلك الحروب بهذه البساطة، فقد أشار «رشيد الدّين الجويني» في حديثه إلى أنّها كانت سنة 611م، وأنَّ «جنكيز خان» قد تقهقرَ من المعركة، وعاد أدراجه[2].

جنكيز خان والخوارزميون:

أشرنا في حروب «جنكيز خان» مع النّيّمانيّين إلى أنّه عند مقتل «نيامك خان» التجأ ابنه «كوجلك خان» إلى كورخان القرختاي، وفي هذا الوقت كان القراخيون يسيطرون على معظم ما وراء النهر؛ ولذلك شكّلوا سداً منيعاً أمام المغول في محاولتهم التّوجه إلى خراسان، وكان الخوارزميون يدفعون المناطق الغربية إلى القراخانيين وعندما اعتلى السّلطنة «محمد خوارزمشاه» تحوّلت علاقةُ الصّداقة معهم إلى علاقةِ عداوة، وفي هذا الوقت ارتبط «كوجلك خان» بالخوارزميين، وبذلك واجه كورخان التّمرد من الشّرق الى الغرب، وأخذت دولة القراخانيين بالاضمحلال[3].

---

(1) طبقات ناصري، ص 33.

(2) جامع التواريخ، (تاريخ المغول) ص 331.

(3) المصدر نفسه، ص335-336.

وعندما اضمحل القراخانيون أصبح «جنكيز خان» مجاوراً إلى الخوارزميين، وكان بين الاثنين علاقات تجاريَّة وسياسيَّة، ودون سيطرة مباشرة من قِبل أحدهم على الآخر، غير أنَّ كلّ دولة كانت من الدّول الفتيَّة، ولها رغبة في التَّوسع، وكان هذا سبب للمنافسةِ، وكان كلّ واحدٍ منهم يبحثُ عن مقومات ذلك النِّزاع الذي ابتدأ، وقد ورد:

أنَّ قصةَ قتلِ التّجار المغول في مدينة أترار كانت من أهمِ الأسباب لحملة «جنكيز خان»[1]، ومن هذا الباب فإنَّ الخوارزميين لم يكونوا على إطلاعٍ بإمكانيات المغول وطبيعتهم في المناطق الواسعة من الشَّرق حتى الصّين، وفي هذه المرة كان «منهاج السّراج» في الهند، وقد جاء بأخبار المغول في زمان «جنكيز خان» من مصادر مختلفة، وقد كتب: «وفي سنة 1617 عندما عبرَ جيش المغول نهر جيحون لأوّل مرة متوجهاً إلى خراسان» سمع هذا الكاتب «منهاج السّراج» في قلعة تولك من عماد الملك تاج الدّين دبيرجان، وكان واحداً من الأركان الخوارزمشاهية، أنَّ خيال الاستيلاء على ممالك الصين قد سيطر على رأس السّلطان محمد خوارزمشاه عليه الرحمة فكان يتطلع دائماً إلى معرفةِ أحوالِ تلك البلاد، وكان يسألُ القادمين من ممالك الصّين وتركستان عنها، وكنا نحن عبيده نحاولُ ملتمسين أن نثنيه عن هذا العزم، إلّا أنّه لم يكن يمحو هذه الفكرة من ذهنه بأي وجه[2].

وبعدَ هذه البداية عن حملة المغول على الصّين، وبيان أسر ألتون خان وابنه ووزيره، فقد قال «جنكيز» إلى ممثلي محمد خوارزمشاه (وكانت

---

(1) جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج1، ص341-342.

(2) طبقات ناصري، ج2، ص102.

قد سطعت شمس مملكتي وغربت شمسك)[1]، ثمَّ تحدَّث عن قتلِ تجار المغول في أترار على يد «خوارزمشاهيين»، ثمَّ تكلم عن الحملات اللاحقة لجنكيز خان على بلاد ما وراء النهر.

إنَّ أوَّل حوادث الحرب بين الشّاهيين والمغول كانت بوساطة جنود «جنكيز خان»، الّذين حضروا إلى حدودِ تركستان للقضاء على (قوم قدوا)، غير أنَّ الخوارزمشاهيين قبيل وصولهم أشاعوا خبراً بأنَّهم قد سلكوا طريقَ العراق سمرقند، وقالوا: (إنَّا عسكر «جنكيز خان» لم نحصل على الموافقة من «جنكيز خان» على حرب الخوارزميين، وإنَّما جئنا في مهمةٍ أخرى)؛ لكنَّ إصرار الخوارزمشاهيين قادهم إلى معركةٍ شديدة الوطيس، قُبِضَ فيها على السّلطان محمد؛ لكن ابنه جلال الدّين حرره، ثمَّ توقفت الحرب[2]، وقد استمرت حملات «جنكيز خان» لاحقاً على نواحي متعددةٍ، على الرَّغم من تأكيد رشيد الدّين أنَّ «جنكيز خان» لم يكن مصرّاً على الحرب (وقد سلك كل مسالك الصّداقة والحفاظ على حقوق الجيرة، فقد صدرت من السّلطان بعض التَّصرفات المسببة للنفرة والكدرة لكن لم يظهر منه انتقام وتحرك)[3]، وكان حينها جيش المغول في أواخر سنة 616، وبعد ثلاثة أشهر وصلَ مدينة أترار، الموضع الّذي تأججت فيه الفتنة[4]. وقد تحدَّث راوي «رسالة الأحوال» عن حركةِ «جنكيز خان» وسيطرته على قسمٍ من بلاد القبجاق، وحينما وصلَ هذا

---

(1) المصدر نفسه، ج3، ص103.

(2) جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج1، ص345.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص346.

(4) طبقات ناصري، ج2، ص105: انظر جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج1، ص353. حكاية جنكيز خان ووصوله إلى مدينة أترار وسيطرة المغول عليها.

الخبر إلى سلطان خوارزم حدثَت منازعةٌ بينهم، وفي الوهلة الأوّلى خسِرَ المغول، ولم تصل أيديهم الطَّامعة إلى بلاد إيران، وذُكِر في هذا صلح السّلطان وتسامحه مع المغول، وأثنى على ذلك، وقال إنَّ السّلطان مقارنةً بهم أدنى تسامحاً، وهذا عين الصّواب (حتى آل الأمرُ إلى السّلطان محمد، وكان ذو شوكةٍ مجدة، وشديد الغيظ والغيرة، حتى سمعت كثيراً من الكبار أنَّه كان يلوم أحياناً أباه السّلطان على مسامحة التَّتار ومداراتهم، ويستحثه على تضييق الأمر عليهم، والحجة بهم في إداراتهم، فلما آل الأمرُ إليه هيّأ له جنداً جراراً يسير على التَّتار، ومن شدةِ المكافحة ثأراً قامت الحربُ بينهم، ومن وجهة النظر سلطان محمد قد زادَ في الأمرِ.

وفي هذا البابُ نقلٌ لحكايةٍ قصيرةٍ عن أحدِ أقارب «جنكيز» أو ربّما أحد أبنائه، الّذي ذهب للصيد وقد وصل نقطةً، حيث موضع إقامةِ سلطان خوارزمشاهي وصار قريباً منه، طلب منه العبور، فرفضَ السّلطان، وكان ذلك الرجلُ جريئاً ومقتدراً، ولذلك نشبت معركة بينهم، وتقهقر جيشُ السّلطان، وانكسروا وشنَّ التَّتار حملةً، وكانت هذه الحملات سببَ دخولهم إلى بلاد الإسلام (وفتحوا بلدان الملة الإسلاميَّة، وأخرجوا الّلطان من تلك المناطق وأصبح جنود الكفر يحكمونها، ولم يبقَ أيّ أثر للسلطان بعد ذلك).

إنَّ الاشكاليَّة في هذا الخبر أنَّ السّلطان «محمد خوارزمشاه» لم يصل إلى الحكمِ قبلَ سنة 596، ولم يكن هنالك أخبار عن دخول «جنكيز» تركستان، ولم يكن السّلطان قد اصطدم بالمغول، وقد حدث التَّصادم الأوّل بين الخوارزم والمغول في سنة 617، وجاء بعد ابنه جلال الدين، ويبدو أنَّ مؤلف «الأحوال» أرادَ المقارنة بين السّلطان محمد وابنه جلال

الدّين شاه؛ لكنَّ المسألة الأهم أنَّهم لم يكونوا أهلاً للتَّسامح مع المغول؛ لهذا كانت الأوضاع في زمن جلال الدّين أكثر احتداماً واحتراباً.

ونقل «الجويني» حكايةً عن المواجهةِ بين المغول والخوارزمشاهيين، وذكرها كالآتي: حينما كانت قوات جنكيز خان بقيادة توشي تشنُّ هجوماً ضد كوملك خان، وقد ضمَّ نواحي كاجغر وختن.

ولهذا السبب استولى «جنكيز خان» السّلطان فاتح العالم على هذه النواحي ابتداءً من كاشخر، وختم إلى الموضع الّذي كان السّلطان «خوارزمشاه» يَحكم فيه، وسُلِّمَ إليه.

ولما كان «قد توغان» قد هربَ في أثناءِ استيلاء «كوجلك خان» على أرضِه ومملكته، وذهبَ إلى حدودِ «قم كيجك» فقد أرسلَ «جنكيز خان» إليه ابنه «توشي» مع جيشٍ كبيرٍ للقضاء عليه، كي يُخلِّص النّاس من شره، ولا يُبقِي له على أثر، وفي أثناءِ عودته مضى السّلطان في أثرهم، ورغم أنَّهم لم يكونوا راغبين في القتال ومُعرضين عنه، فإنَّ السّلطان لم يعرض عنهم؛ بل أقبلَ عليهم، وولى وجهه شطرَ صحراءِ التعسف والهواية فاز، فلما لم تنفعه النَّصائح فقد استعدوا للقتال، وجهزوا أنفسهم لها، وحملوا عليه من ناحيتين، وحملَ ميمنة كلّ من الجيشين على ما يقابلها، وازداد جيشُ المغول شجاعةً وإقداماً على ما أحرزوه من نصرٍ، وحملوا على مركزِ الجيش السّلطاني حيث كان السّلطان يحتل مكانَ قيادته.

وقد أشارت «رسالةُ الأحوال» إلى أنَّه في هذا الصّراع وردَ أحد أبناء «جنكيز خان» مع سلطان خوارزم، وذهبا إلى الصّيد على مقربةٍ من جيش السّلطان، ولما يكن ذلك دقيقاً.

لكن؛ لم تظهر «رسالةُ الأحوال» وحوادثها، ولا سيّما الحملات الواسعة للمغول في العقدِ الأوّل من القرن السّابع بقيادة «جنكيز خان» وأبنائه من ضمن حملاته على هرات ونيشابور، ونواحي مازندران.

ولأخذ العلم فإنَّ هذه الحملات، وباختصارٍ شديدٍ، كانت قد وَجهَت ضربات موجعةٍ إلى جسدِ خراسان، واستحكمت فيها مواضع المغول، وكتب منهاج السّراج: (وحينما علم جنكيز خان بخبر ذهاب خوارزمشاه من أطراف بلخ وتفرق الجمع والجيش الذي كان معه، أرسل 60 ألف فارس من معسكر المغول بقيادة قائدين كبيرين من المغول الكبار إلى خراسان، الأول سوده بهادر والثاني يمنوين في أثر السلطان محمد خوارزمشاه فعبروا نهر جيحون).

وكان عبورُ هذا الجيش نهر جيحون في شهرِ ربيع الأوّل في سنة 617، وبناءً على أمر «جنكيز خان» لم يلحقوا أذى بأيّة مدينةٍ من مدن خراسان، ولم يستولوا على أيّ منها، إلّا ما حدث في ولايةِ هرات في مكان يسمى «بوشنج»، حيث قُتِلَ هناك واحد من أكابرِ الجيش المغولي في إحدى المعارك، واستولوا على قلعتها عنوةً، وكانت صغيرة، وقَتلوا كلّ من وُجِدَ بها من المسلمين، ثمَّ قصدوا من هناك إلى نيسابور، وبلغوا أبوابها.

وحينما اندلعَ القتالُ هناك، قُتِلَ صهر «جنكيز خان»، فلم يشغلوا أنفسهم بالانتقام؛ بل مضوا إلى طبرستان ومازندران في أثرِ السّلطان محمد خوارزمشاه، الّذي قاد عسكرَ وادي تيمشه على طريق مازندران، حيث لحقَ به جيشُ المغول فجأةً[1].

---

(1) طبقات ناصري، ص108.

وقد شَرَحَ وضعه بالتّفصيل، فكتب أيضاً (وفي هذه السّنة، سنة 617هـ أخذ جيش المغول يهاجم الأطراف لمدةٍ ثمانية أشهر، وفي هذا التاريخ كان كاتب هذه الطبقات منهاج السّراج في قلعة تولك، وكان أخوه في قلعة مدينة فيروز كوه، وفي ذلك العام جاء جيش المغول إلى قلعة استيابهور وحاربوا بضراوةٍ لمدة خمسة عشر يوماً)[1].

خلفاءُ جنكيز خان:

الرّواية الثّانية هي عن أبناء «جنكيز خان» ومسألةِ ولاية العهد، وعلى العكس فإنَّ المؤلف لم يورد شيئاً حول حروبِ المغول وأخبارِ خراسان الكبرى، وخرابِ المدن ومقاومةِ النّاس وقتلِهم، فقد ركَّز المؤلف على أسرةِ «جنكيز خان» وأخبارِ خلفاءه.

وذكر «البطيطي» مؤلفُ كتاب «الأحوال» أربعة أبناءٍ لجنكيز الأول قاآن، ويقصد بذلك أوكتاي خليفة جنكيز خان، والثّاني تولي خان، والثّالث جغكاي، والرّابع ابن جنكيز خان توشي أو جوجي، الّذي ابنه تاباتو وجوجي، وقد توفي مع أبيه جنكيز في سنة [2]624، وباتو خان وابنه قد أخذ مكان أبيه[3]، واتجه هذا الشّخص بمعيةِ كيوك خان (ابن أوكتاي) وأمنغون (ابن جغتاي) في سنة 642 لفتحِ مناطقَ الرّوس

(1) المصدر نفسه، ص113، وأحوال الأخبار المتعلقة انظر ص 134-135.

(2) كان موت جنكيز خان في رمضان 624 وكان عمره حينها 72 سنة حول هذه الأحداث انظر جوامع التواريخ (تاريخ المغول)، ج1، ص386-387.

(3) تاريخ جهانكشاي، ج2، ص221.

والجركس والبلغار[1].

وتنصب أوكتاي قاآن بواسطة أولتاي الكبيرة (المجلس) في سنة 626 وأصبح خليفة جنكيز[2]، واستمرت سلطته حتى سنة [3]639.

وذَكَرَ في هذا الباب مؤلف «الأحوال» شرحاً حول مزايا البذل والعطاء ومساعيه من أجلِ إعمارِ المدن المُدمرة، ولم يذكر أيّة إشارة حول حملاته على إيران وحواليها مع القائد جرماغول، وكانت وظيفته في هذه المرحلة إظهار معلومات عن الجهازِ المغولي الإداري.

لم تتوقف حملات المغول بهذا الاتجاه، وانّما استمرت باتجاه الصّين عن طريق أوكتاي، وابنه جفتاي وتولي[4].

وذكرت «رسالةُ الأحوال» خلفاء أوكتاي قاآن، والّتي لها ذكر في مصادرِ ذلك العصر، وقد كتب إقبال اعتماداً على تلك المصادر «كان الخليفة سليم النّفس وهادئ، وانشغل في عمارةِ البلاد، وإشاعة العدل والإحسان، والشّجاعة وأصلح خرائب أيام أبيه» وقد أشار إلى ذلك «الجويني»[5]، وقد أثنى على آخرين، وحدثنا على وجه الخصوص عن التّأثير والعلاقة ما بين محمود يلواج وابنه مسعود بيك بقال[6]، «وقد

(1) تاريخ مغول، إقبال، ص 147.

(2) انظر تاريخ جهانكشاي، ج1، ص146-147.

(3) انظر تاريخ مغول، إقبال، ص135 وما بعدها.

(4) تاريخ مغول، عباس إقبال، ص146.

(5) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج1، ص195-161.

(6) عباس إقبال، ص 148.

عُرِفَ أوكتاي قاآن في مشرق الأرض بكرمِه وشجاعته، ولُقِّبَ بحاتم آخر الزمان»[1]، واللافت للنظر أنَّ منهاج السرّاج الّذي عُرِفَ بأنّه ضد المغول أثنى كثيراً على أوكتاي وإسلامه، فقال: (وكان أوكتاي في حدِّ ذاته كريماً إلى أقصى حدٍّ وطيبَ الخلق، وكان يحب المسلمين للغاية، ويجتهد جداً في تعظيم أهل الإسلام، ورفاهيتهم، فكان المسلمون الذين يوجدون في بلاده مرفهي الحال وذوي حرمة في عهده، وقد بنيت المساجد في أثناء حكمه في كل بلاد تلكت والطمغاج والتبت وبلاد الصين، وأوكل جميع قلاع بلاد الشرق وحصونها إلى جماعة أمراء الإسلام، وأسكن الأمراء الذين كانوا قد أسروا من إيران وتوران في مدن التركستان وبلاد طمغاج وتنكت، كما أمر أوكتاي بأن ينادي المسلمين بكلمة صاحب وأخ، وأمر المغول بأن يزوجوا بناتهم للمسلمين، وإذا رغب شخص في خطبة أولادهم لا يمانعون. وقد أقام صلاة الجمعة في كل بلاد الشرق وسكن المسلمون في تلك البلاد)[2].

وهذا ليس توضيحاً طويلاً، وإنّما المؤلف انهمكَ في بحث ولاية عهد أوكتاي قاآن وقد توفي، وعلى الرَّغم من خلو تخته؛ لكن شاع الاستقرارُ وبقيت الأوضاعُ آمنةً، وعزا البطيطي هذا الاستقرار إلى وجودِ باتو خان ابن جوجي، الّذي كان قائد العسكر في منطقة صحراء قبجاق.

ونعلم أنَّ ابن أوكتاي قد بدأ بالظهورِ في حياته وقبلَ مماته؛ إذ كان له طفل اسمه شيرمون نصَّبه ولي عهدٍ، ثمَّ توفي، ولم تكن الأوضاع في

(1) تاريخ جهانكشاي، ج1، ص191، حاتم الزمان، وحاتم العالم، انظر تاريخ مغول، إقبال، ص149.

(2) طبقات ناصري، ج2، ص151.

هذا الوقت مستقرة، غيرَ أنَّ مؤلف «الأحوال» عزا عامل الاستقرار إلى وجود باتو خان وكذلك جهود أخيه خان، وأيضاً جغتاي ذكره «الجويني» بين أبناء توشي اسمه بركة، ويجب أن يكون بركة خان[1].

يذكرُ البطيطي مؤلف «رسالة الأحوال» أنَّ باتو خان وعلى الرَّغم من أنَّه كان كافر؛ لكنه كان عادل، ولم يوعز بإزالةِ مباني الإسلام؛ بل شجَّعَ تربيةَ علماء الإسلام، أمروا بتربيتهم، وتقويتهم، وتوفير الوظائف والمرسومات لهم، فضلاً عن ذلك، أمر أن يكون القضاء بيدِ القضاة الشَّرعيين، وقد احترمَ الأعراف ولم يلحق الأذى، وكتب الجويني: (كان «باتو» ملماً ولم يميل إلى أي دين أو قومية وكان عارفاً بالإلهيات ولكنه لم يتعصب إلى أي من الملل والأديان)[2]، وقد أورد رشيد الدّين العبارات نفسها[3].

وكان من منظور «منهاج السّراج» سلبي للغايةِ إلى كيوك خان، وقد وجه النَّقد مراراً إلى تعامله مع المسلمين، فيما ذكر باتو خان بالذِكر الحَسن، وقد كتب: «وروى بعض الثقات أن باتو خان اعتنق الإسلام خفية، لكن لم يعلم ذلك واعتقد بأهل الإسلام، وبلغ ذلك طوال مدة حكمه البالغة 18 سنة»[4].

لم يملك مؤلفُ الأحوالِ معلومات عن ولي العهد كوجو وموته،

---

(1) تاريخ جهانكشاي، ج1، ص144.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص222.

(3) جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج2، ص570-571.

(4) طبقات ناصري، ج2، ص171.

وعن تعيين شيرمون، وأشارَ فقط إلى أنَّ كيوك خان حلَّ مكانه أوكتاي، وكان عمره صغير جداً، ولمّا مات كيوك خان، لم يأخذ أحدٌ مكانَه، فبذلك توفي جوغتاي وأبناءه، ولم يصلوا إلى الملك.

ومرَّ البطيطي مروراً سريعاً على كيوك خان، وكان خاني محل أوكتاي.

ولم يصل الدّور إلى شيرمون بسبب صغرِ عمر هذا الخان، أمّا معلوماتنا بعد موت أوكتاي فقد ظهرَ اختلافٌ شديدٌ، ففي هذه المرة أمسكت توراكينا خاتون زوجة أوكتاي بزمامِ المملكة حتى انعقد مجلس القوريلتاي الكبير، وكان هناك أتباع مومريدي دويخان، ورغبتهم في وصوله إلى الخان[1]. وشُكِّلَ مجلس قوريلتاي في سنةِ 644، ولم يكن حينها باتو خان؛ ولكنه أرسل ممثلاً عنه، واستمرت سلطةُ كيوك خان حتى سنة 648، ثمَّ توفي، وفي هذه المرة لم يخلف ذاكرةً حسنةً في أذهان المسلمين لأنّه هو وأمه كانوا من المسيحيين، واضطهدوا المسلمين، فكتب الجويني: «وعلا شأن النصرانية في عهده، ولم يساعد المسلمين، وتعالى عليهم» [2].

وبحث مؤلفُ رواية «الأحوال» في تعيينِ خليفة ديوك خان، وكان البحث يتركز على خان العظيم من نسل أوكتاي أو خارج من نسله، وفي ظلِّ هذه الأوضاع وصلَ منكو ابن توري إلى السّلطنة، ومؤلفنا فصَّل في هذا، وحينما حدث نقاشٌ بين مدعي خاني (السّلطنة) بعد باتو خان، ولم يكن باتو خان مدعي خاني (السّلطنة)؛ ولكنه كان في ذلك

---

(1) انظر تاريخ جهانكشاي، ج1، 165-196

(2) المصدر نفسه، ص204.

الوقت الأكثر ثراءً، ويعدُّ جيشه من أشدِ الجيوش قوةً عند المغول، وأيدَّ الجويني هذا المطلب وذكرَ أنَّ باتو خان كان الأكبر سناً من بين الأبناء، وعُرِفَ بالإصلاح ومواجهة فساد المملكة، وعندما يُقارن بالآخرين فهو الأفضل، ولهذه الأسباب فإنَّ أحد غيره لا يصلح لأن يحلَّ مكانه[1].

ينقل كاتبُ الأحوال أنَّ (من أبناء تولي خان) منكو هولاكو أو هو قوبلاي يوجي، وقد ذكروا في المصادر أربعة أبناء له، وقد وُلِّي الأبناء الثَّلاثة الأوائل فضلاً عن أريق[2]، وكما نعرف فإنَّ منكو قاآن أصبح خليفةَ ديوك خان، وقد تجاوز تشكيلَ مجلس القوريلتاي الكبير، وكذلك تأثير باتو خان، وظهرَ تدافعٌ بين المتنافسين، فبحسب المصادر الأخرى إنَّ زوجة ديوك خان المسمّاة «اغفول غاينش» أرادت انتخابَ ابن أخ ديوك خان؛ أي شيرمون، بوصفه خليفة أوكتاي، غيرَ أنَّ كيوك وبمساندةِ أمه قد وصلَ إلى السّلطنة (الخاني)، وجبرَت المنافسةُ بين أبناء وأحفاد الأخوين (أوكتاي وتولي باتو خان) على التَّحرك بسرعةٍ بوصفه ابنها الأكبر، وطلبت من الجميع المجيء إليها، وتعيّن القرولتاي الكبير (المجلس أن يعيّن السّلطان) غير أنَّ المعارضين لم يذهبوا إليها، وقالوا إنَّ الأساس لقدرةِ «جنكيز خان» ليست صحراء جاق؛ ولكن أونان وبلواران، وبهذا زَهد جمع منهم[3]، وبحسب رواية «الأحوال» فإنَّ نخبة من المغول التحقوا مع باتو خان من أجل انتخاب أحدهم[4]، وفي هذا

---

(1) تاريخ جهانكشاي، ج3، ص18.

(2) تاريخ المغول، عباس إقبال، ص155.

(3) حول ذلك انظر جامع التواريخ، تاريخ مغول، ج2، ص581-585.

(4) انظر تاريخ مغول، إقبال، ص155.

وردت كلمةٌ غيرُ قابلةٍ للقراءة.

وهذه العبارةُ هي (مع فريبان؟)، وفيها صور وأشكال وتخطيطات لمن هم على استعدادٍ للجلوس على السّريرِ والصلح القاآنية وضبط الملك، وبقوا بعض الوقت قرب باتو خان من أجلِ معاينة صلاحه، ومنها أُختيرَ منكو قاآن، وتحفَّظ على قبول قاآن إلى أن يعمل طبقاً لتقاليد المغول، وكَتبَ مؤلفُ الأحوال وأوضح ذلك بقوله: «وكانت صفة ذلك يضع إحدى ركبتيه إلى القدم منبسطاً على الأرض دافعاً أخرى، واضعاً يديه معاً على ركبته المرفوعة، وقال له: بوركت في صيرورتك مالك السرير وسائس الأمور للجمهور»، تحفَّظ منكو قاآن حتى يقبله باتو، رغم أنَّه يعمل بالمصلحة.

بحسب تقرير المصادر بعد انتخاب منكو، لأنَّ القرولتاي الكبير لم يتشكّل واستغرقت المفاوضات وقتاً طويلاً بين المخالفين والموافقين، حتى استطاع اتباع منكو في سنة 648 بالقرب من قراقروم اختيارَ منكو خان إلى الأقاآن[1].

أشارَ مؤلفُ «الأحوال» إلى محور المنازعات بين زوجة ديوك خان وابن أخيه من جهةٍ، وابن توري من جهةٍ أخرى، وقد أشار المؤلفُ وكتبَ: (فتنكروا وتغيروا وأخذوا يعدون مكائدهم لدفعه)، وذكرَ بعضاً من زوجات «جنكيز خان» وأبنائهم ودورهم في هذه المسائل، وركَّز على مساعدة منكو، وكانوا راضين بسلطةِ منكو «صاحب السرير وحامي الحوزة وراعي المملكة».

---

(1) جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج2، ص585.

وفي هذا الوقت فإنَّ هذه المعارضة قد اضمحلت، ومؤلفُ «الأحوال» في هذا الباب يعطينا بعضَ المعلومات الّتي جاءت في مصادر أخرى أيضاً[1].

وجاءت هذه المعلومات الّتي ذكرها مؤلفُ «الأحوال» في مصادر أخرى[2].

يقول مؤلفنا: إنَّ سيرموان هو شيرمون، وإنَّ أخوانه كلّ من أغل وناغا، وإنَّهم من أحفاد قاآن؛ وذلك يعني أنَّ أوكتاي جزء من المتمردين، وكان شاباً يافعاً وكان يمتلك جيشاً جراراً، وامتلك صفة منكو، وقال: (ما هو والملك من أين يستحقه؟)، وأرسلَ له خانُ المغولِ، وبتوجيهٍ من أحدِ أقربائه، جيشاً صغيراً من مئة نفرٍ، وكان هذا الشَّخص يعرف تلك المنطقة جيداً، وعندما كان شيرمون ذاهباً للصيد، وابتعد عنه أسروه، وجُلِبَ إلى منكو خان، وتدريجياً أُلقي القبضُ على باقي أفراد جيشه، وتعرَّضوا للمسائلة والمحاكمةِ، «حتى أقام يراغُوّ المأخوذين، واليرغو هو القضاء والحكومة عندهم»[3].

وقد أوردَ مؤلفُ «الأحوال» استجوابَهم وإجابةَ شيرمون، الّذي قال: (أنا كنت قد سلمت؛ لكن العسكر منعوني)، ثمَّ استجوب أخوه خواجه أغل، وذكرَ له تلك النَّصيحة؛ لكن في هذه المرة ذكرَ بعض التفاصيل المهمة والّتي ربَّما تكون غير متوافرة في المصادر الأخرى، منها: أنَّ أحد

---

(1) انظر تاريخ مغول، إقبال، ص157.

(2) انظر تاريخ مغول، إقبال، ص157.

(3) تاريخ جهانكشاي، ج3، ص52.

المتمردين كان خاتون، وأحيا التمرد، وحينها وصل هذا الأمر إلى منكو خان قال طلبَ العفو من خاتونه، وعلى أيّة حال فإنّ الأشخاص الّذين أثاروا الفتنة قُتلوا، ولم يبقَ منهم غير شيرمون، وأخوه خواجه أغل.

وكانت هذه العبارة، هي: «وأمر بقتل من كان مادةً للفتنة، ومهيجاً للشرور وذوي الغيث الفتانين حتى أكثر من قتلهم ولم يبقي إلا قليلاً من نسلهم إلى أن حمله الفكرة في العواقب والنظر في مصائر الأمور على قتل شيرمون وأخيه خواجه أغل، فاستقر إليه الملك..».

هل تشير هذه العبارة التي وردت إلى قتل شيرمون وأخيه أغل؟ يبدو أنّ ذلك جاءَ فعلاً، فقد وردت العبارة الآتية على عدم قتل شيرمون وأخيه خواجه أغل، يعني أنّهم لم يقتلوا.

حملة هولاكو على إيران وفتح قلاع الإسماعيليّة:

ذكرَ مؤرخ كتاب «الأحوال» بعد شرحٍ وصول منكو خان إلى السّلطة، وهذه عادةُ المؤلف مع كلّ حاكم مغولي يصل إلى المملكةِ فيذكر حملاته العسكريّة إلى المناطق المختلفة وأمراءه، وكان أحد المقربين إلى الخاقاني، قال: إلى منكو تستطيع بمئة نفر أن تبعد شر شيرمون، قال قاآن ما الرأي: الأفضل أن تعزم على إرسال إخوانك بحملات عسكريّةٍ إلى بلدان مختلفة؛ فتصبح مرتاح البال.

وبذلك تهتم بأمورِك، فقبلَ منكو خان بذلك، وأرسلَ أخيه قوبلاي إلى جهة المشرق؛ أي الصّين، وبعث هولاكو إلى الغرب يعني إيران

والعراق، وكانت حركة هولاكو في 24 شعبان سنة 651 [1].

وفي هذه المرة كان لحملةِ المغول هدفين: الأوّل إزالةُ قدرةِ الإسماعيليَّة، والثّاني حملة على بغداد، وفي كلا الأمرين كان للمغولِ حملات متعددة؛ لكنهم لم يتمكنوا من فتحِ قلاع الملاحدة، وبذلك بقيت يدهم بعيدةً عن بغداد، وفي المقابل استطاعوا السّيطرةَ على آلاف المدن والمناطق، الّتي دمروها.

ذكرَ مؤلف «الأحوال» مباشرةً بعد الحديثِ عن مجيء منكو خان، الحملةَ على الملاحدة، وتقريباً هذا الشيء نفسه الّذي عمله «منهاج السّراج» بعد وصفه أحد السّنة المتعصبين، وقد استحسن الحملة على الملاحدة، وقد نُقِلت تلك الأحداث بالآتي: (إن سبب ارسال الجيوش على بلاد وقلاع الملاحدة أن الحسن الصباح لعنه الله قد أسس هناك قواعد على مذهب الملاحدة وقد وضع قانون الضلال وحكم من قلعة ألموت...)[2].

وذكر البطيطي إشارةً إلى حركة الجيش إلى المغرب؛ أي جهة إيران، وذكر توجه أخيه (كت يوقا) وبأنَّه كان صاحبَ عقلٍ، وهو الذي كان قائدَ مقدمةِ جيش «هولاكو» المتجه إلى قلاعِ الإسماعيليَّة.

وقد كتب رشيد الدّين «أصبحت كت يوقا منشغلاً بفتح قلاع

(1) تاريخ جهانكشاي، ج3، ص96.

(2) طبقات ناصري، ج2، 2181.

الملاحدة وقد أصبح بمقدمة هولاكو خان»[1].

كتب مؤلفُ الأحوال: «أمره بلزوم قلاع الإسماعيلية وافتتاحها وقلع أرومتها واستئصالها حتى إذا وصل إلى مواضع قلاعهم استحشد واستجاش عن البلاد حتى جمع أجناداً كثيرة وأمر حول كل قلعة بحصارٍ وخندق وبنى البيوت متصلة بالحصار، ووكد عليها من الجند بقدر ما يحتاج إليه ذلك المكان للاستدفاء وكذا صنع هذا الصنيع بجميع قلاعهم من أقصى خراسان إلى آخر مازندران، وجعجع بتلك الملاحدة الغادرين حتى افتتح جميع القلاع والصياصي إلى جردوكة، وألتون، والقائن، وألموت، لكن لم يخلها عن المحاصرة والمحاربة والضرب بالمناجيق والرمي بالنيران وغير ذلك»، وكتب منهاج السّراج عن مقاومة القلاع متعجباً، فذكرَ أنَّ في بلاد ملحدستان (150) قلعةً، سبعون منها في قلعة بلاد أستان، و35 حوالّي جبال العراق، الّتي يُقال لها ألموت.

إنَّ الملاحظةَ الواضحة أنَّ أهلَ السّنة كان لهم أحقادهم على الإسماعيليين، وقد أوضح «منهاج السّراج» بصراحةٍ ذلك عندما ذهبَ إلى الغزوات مرات عديدةٍ مع المغول، وهاجوا ضدَّ الإسماعيليَّة من أجلِ دفع شرهم، ولهذا كتبَ: (كان القاضي شمس الدين القزويني إمام صديق وعلم تحقيق وسافر أكثر من مرة من قزوين إلى الخطأ وتحمل أعباء مفارقة الأوطان، حتى ذهب يوماً في مملكة منكو خان بالقرب منهم وطلب منهم يد العون وأن يرفع شر الملاحدة والفساد من بلاد الإسلام)، فحرَّك باتجاههم حملةً، وهذا من الأسباب الّتي حرَّكت منكو

---

(1) جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج2، ص198.

خان لقمع القلاع في بلاد ملحدستان ومهستان وألموت[1]، وقد أشارَ رشيد الدّين إشارةً إجماليَّة إلى ذلك. الّذي أراد من منكو خان بعدما وصلَ قربَه إسناده وطلبِ العون، وهم أيضاً كانوا من جماعة السّنة الّذين يطمحون إلى إزاحةِ الإسماعيليين من إيران.

وقعَ مُسبقاً هذا، حتى قال عن الخليفة العباسي ما يماثِلُ ذلك، من أجل دفعِ خطر الخوارزمشاهيين بوساطة المغول، وفي هذا الموضوع فإنَّ «منهاج السّراج» كان يلعن المغول، وفي النهاية كان يطلبُ بقاءَ دولة الإسلام، وكتب في هذا: «يستمد ملك سلطان الإسلام من ملك الله تعالى وهو باقي حتى انقراض حياة الآدميين وإن كان الخان الأعظم»[2].

ويَظهرَ بجلاءٍ أنَّ المؤلف الشّيعي لم يكن راضياً عن الملاحدة، وضمن هذا السّياق الإنساني العام فإنَّه لم يُظهر غضبَه، فقد أشارَ إلى هذه المسألة في الأحداث بين الإماميَّة والإسماعيليَّة، أو بعد ذكرِ بداية حملة كوت بوقاء مع مرنكو؛ إذ لم تذكر المصادرُ ذلك، فورد الحديث عن هولاكو يقول إنَّه قد اصطحب جيشاً جراراً لا يُحصى، وأرسله إلى المغرب فورد إلى خراسان، واجتاز توك وقاآن بعدما فتحها، ثمَّ لم يستطع جبل كرد، فاستمرت المحاصرة، ومن هنا ذهبَ إلى ألموت، وهذا تقريباً هو الشّرح المتعلق بسقوطِ القلاع الّتي ذكرها «الجويني»[3].

ونحن نعلم أنَّ «الجويني» كتبَ رسالةً مستقلةً سمّاها (فتح نامه)

---

(1) المصدر نفسه، ج2، ص-182.

(2) طبقات ناصبري، ج2، ص189.

(3) تاريخ جهانكشاي، ج3، ص108-109 وما بعدها.

عن فتح ألموت، وقد وضعَها «تاريخ جهانگشاى» في كتابه[1]، وفي أواخر ذي القعدة من السّنة المذكورة ظهرت البدعة وطغت، وحملَ الشّيطان كلّ السّكان والأقمشة والأمتعة إلى الصحراء، وبعد ثلاثة أيامٍ بلياليها ذهبوا، وقد عجزوا عن حملها؛ لذا أشعلوا النيران في المحلات والدور)[2]، وقد أورد رشيد الدّين تفاصيلاً أكثر حول ذهاب وإياب ممثلي المغول وخورشاه، وكذلك إرسال شيرانشاه وأخيه بيرانشاه أخوه الآخر، والّذين ذهبوا إلى هولاكو[3]، وكتب مؤلفُ الأحوال حول قلعة ألموت والأمراء الإسماعيليين: «ذاك أحد الإسماعيلية التيا محمد بن الحسن الذي كان يسمونه القائم بأمر الله، وكان على ما سمعنا قد قتله أحد بنيه عما قريب، وجلس مكانه ابنه خورشاه».

أطلق المؤلفُ في كتابنا لقبَ القائم بأمرِ الله علاء الدّين محمد، وهو تعبيرٌ ورد أيضاً في كتاب رويان؛ لكنَّه لم يُلحظ في مصادر أخرى، كتب أولياء الله: (كان عقد هولاكو خان منكو قاآن عبر المياه وسار إلى الطريق إلى قلعة ألتون وقائن التي فتحها وأسر الكثير من الملاحدة ووصل إلى جبل كرد وهيأ جيشاً للحصار ونزل بنفسه إلى قلعة موتِ وكان في ذلك الوقت كيا محمد ابن الحسن الذي كان يسمى القائم بأمر الله) وقد قتلَ بمعيته أحد أبناءه[4].

وأثارَ مقتل علاء الدّين محمد بن حسن والد ركن الدّين خورشاه

(1) تاريخ جهانكشاي، ج3، ص144.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص136.

(3) جامع التواريخ، إسماعيليون، ص184-185.

(4) تاريخ رويان، ص160.

جدلاً، فكان الأمر مبهماً، وأورد الجويني تفصيلاً حول ذلك[1]، فذكر: (قتل علاء الدين في مطلع شوال سنة 653 في موضع يسمى شيروكوه)[2].

وصحيح أنَّ بعد سنة التحق خورشاه بهولاكو، وفي واقع الحال حكم بسنة واحدة[3].

كان وزيره نصير الدّين الطّوسي، وهو (نحرُ الدّهور ونادرةُ العصور)، الّذي كان محبوساً لسنواتٍ في ألموت، وكان يؤمن بفشلِ عملهم، حتى قِيل إنَّ قلبه كان مائلاً إلى إفسادِ أمرهم، ونكثِ شرورهم.

ونعلمُ أنَّ خواجه كان في قهستان، ثمَّ انتقل أخيراً إلى ألموت، وقِيل إنَّه كان في حبسهم، وفي هذا كثير من الأشياء، وقد أشارت إلى ذلك رسالة الأحوال بصورةٍ مختصرةٍ، وذَكرت قلبَ الخواجه الّذي كان يميل إلى خرابِ أمر الإسماعيليين، فقال: «وكان وزيره نصير الدين الطوسي نحرير الدهور ونادرة العصور وتشاور خورشاه ونصير الدين وكان خورشاه شاباً لم يضرس الأمور ولم يعلم المحن والشرور وكان نصير الدين شيخاً أكل الدهور، وكان محبوساً من جهتهم منذ سنين في ألموت، حتى قيل أن قلبه كان ميالاً إلى إفساد أمرهم ونكث شرورهم، فلما رأى هولاكو قد احتفى بها، قال لخورشاه بوساطة علم النجوم في الظاهر أن صلاحك وصلاح أهلك وبلادك النزول عن هذه القلاع والهبوط عن هذه التلاع، فأنا لا يدا لنا مع هؤلاء الامتناع والدفاع. فقاوما يوماً

(1) تاريخ جهانكشاي، ج3، ص254-259.

(2) المقدمة، ج3، ص255.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص267.

واحداً زحفت الجيش إلى القلعة، ثمَّ أرسلوا إلى هولاكو غداً بالنزول على حكمه والامتثال لأوامره فنزلوا، وما عقده الأباء الحكماء في سنين قد حلوا، وعن مركب الملك والعزة قد ارتجلوا، وإن كانوا ظانين أن بعد عزل العهد والحلف مع هؤلاء الأنغلة قد قتلوا».

وكتبَ رشيد الدّين (خرج خواجه نصير الدّين الطّوسي نوَّر الله قبرَه مع جمع من الوزراء والأعيان الكفاة ومعهم التحف والطرائف الكثيرة في يوم 27 شوال، وتحدث خواج نصير الدين مع خورشاه في أول ذي القعدة من سنة 654 فنزلوا من القلعة)[1]، وقد أورد كلٌّ من رشيد الدّين والجويني قصةَ تسليم خورشاه، وإقامته بالقرب من هولاكو، وعشقه لإحدى بنات الأتراك[2]، وهذا يظهر كيف أنَّه طلب من منكو خان أن يذهبَ بالقرب من هولاكو، وقبوله الذهاب إلى قلقروم، وفي الطَّريق قَتلَ كل مقربيه[3].

ولهذا فإنَّ الدّولة الإسماعيليَّة الّتي عاشت 177 سنةً انتهت، وفي زمنِ قتلِ خورشاه فإنَّه في طريق الذَّهاب لم يقتل؛ بل وصل قراقروم، غيرَ أنَّ منكو قاآن قابله وحماه، وأنَّ عدمَ ارتياحه كان بسبب عدم فتح قلعة لنسر وكرد كوه حتى ذلك الوقت. وفي طريق عودته (في المحلة المجاورة إلى جبال خانقاي الواقعة شمال غربي مغولستان تم قتل ثمانية أمراء عن طريق ذبحهم على يد أصحاب ألموت)[4].

(1) جامع التواريخ، ج2، ص665-679.

(2) جامع التواريخ، ص189.

(3) تاريخ جهانكشاي، ج3، ص74-77، جامع التواريخ، ص190.

(4) تاريخ عقائد الإسماعيلية، فرا دفتري، ص488.

وذكرَ مؤلف الأحوال مطالبَ أخرى، وفي حديثٍ عن الجويني فقد كتبَ: أنَّ هولاكو اعتمد على علمِ النّجوم، وأراد من خورشاه أن يخرج من القلعة ويسلمها، غير أنَّهم قاوموا يوماً واحداً وفي النهاية سلّموا، ثمّ أرسل خوارشاه مع الحرم وأهله، وأيضاً الغنائم، إلى منكو خان الّذي أصدر أمرَ قتله، وذكر أيضاً أنَّ هولاكو أمرَ أحد جنوده الشّباب أن يقاربَ ابنة كيا محمد والنّساء والجواري، وكان أحد أبناءه يشاهد ذلك ويلاحظه، وكان يعيد ذلك أكثر من مرةٍ: (أمر بلكزه في قفائه ليتوجه إلى صوب تلك القلعة وأن يشاهدها وينظر إليها، ونعوذ بالله من سوء العاقبة وخذلان الخاتمة).

وأشارَ مؤلفُ كتاب «الأحوال» إلى أنَّ هولاكو منح خواجه نصير كثيراً من العناية، وذلك لعلمه الجمِّ، وخصوصاً في الحكمةِ، والنجوم، والرياضيات والعلوم الأخرى، ثمَّ قدَّمَ وصفاً عن هولاكو بأنّه غاضبٌ وسريعُ القتلِ، وله مهابة، وكان يعمل السَّيف وأشاعَ المذابح، ومع هذا فإنَّه رجلٌ كريمٌ، ورؤوف بأهل العلمِ، ويقول عندما انتظمت الأمورُ اتجه إلى بغداد.

ويذكرُ مؤلف الأحوال كيف أنَّ خواجه كان سجيناً في قلعة ألموت، وفي الوقت نفسه كان إلى جانب الحاكم الإسماعيلي، وسعى إلى إفسادِ عملهم وطلبَ منهم التَّسليم، والملاحظة الأخرى عن توجه هولاكو إلى خواجه، اطلاعه المسبق على كلّ ذلك.

وفي المصادر المتأخرة قِيل أيضاً إنَّ منكو خان أوصى إلى هولاكو، وطلبَ منه أن يرسلُ حملةً إلى قلعة ألموت من أجلِ إنقاذ نصير الدّين،

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

منهم؛ ولهذا فيجب عدم النظر إليها بوصفها حقائق تاريخيّة مطلقة.

ويرى المؤلفُ في هذا الباب بأنّه عند إنهاءِ أمر قلاع الإسماعيليّة تحرك المغول صوب بغداد، وتوجد كثير من المطالب حول علاقة العباسيين بالمغول في العقود الأربعة الأخيرة من زمان الناصر (575-622) وحتى المستنصر (623-640) والمستعصم (656)، وفيما يتعلق بالحملات السّابقة لهولاكو على طريق بغداد؛ أي قبل سنة 650، فإنّ المؤلف أشار إلى أنّ بعضها متعلقٌ بتلك الحقبة السابقة، وهي سنوات 655-656، وتعدُّ الأخبار المتعلقة بعلاقةِ المغول بالبلاط العباسي واحدةً من الموضوعات المفصلة، ونموذج لذلك حملة المغول على اربل في عصر المتنصر، وكان قد استعد أهل بغداد، وأفتى الفقهاء بأنّ الجهادَ أفضلُ من الحج، وفي تلك السَّنة لم يذهبوا إلى الحج، وانشغلوا في إجراء التّمارين العسكريَّة من أجلِ الاستعداد لمواجهةِ المغول[1].

وفي هذه المرة فإنَّ هولاكو سعى بعدما أسقطَ قلاع الإسماعيليَّة، ولا سيَّما بعد سقوط قلعة ألموت، فالطَّريق أصبح سالكاً إلى بغداد، وكان مؤلفنا قد أكدَّ أنَّ عدم اعتناء العباسيين بالخطر المغولي كان واضحاً، وقد ذكر في ذلك قائلاً: كان من أمر بغداد أنَّ خلفائها العباسيَّة لم يكونوا يحتفلون بملوك المغول في بدء أمرهم ولا يعتدون به، ومع ذلك صاروا يوافقون الإسماعيليَّة ويحابونهم، ويوادون متشيعهم، ويستعينون بهم في الأمور، ويستمدون بفدائييهم، وملوك المغول كانوا يتسامون بذلك؛ لكنَّهم كانوا يسامحونهم ويساهلونهم ويستدرجونهم من حيث لا يعلمون، ولا يزدادون إلّا تغافلاً وتجاهلاً، ومع ذلك كانوا إذا وصلَ

(1) جامع التواريخ، ج2، ص575.

بغداد تجارُ بلاد المغول تحسسوا من حالهم، فإن علموا أنّهم من جهةِ المغول أدخلوا أيديهم في أموالهم، وكان رسلُ المغول إذا وصلوها يحبسونهم في البيوت، ويضيّقون عليهم في المأكل والمشرب. وربّما تكون هذه المعاملة بسبب الاعتقاد أنّه قد يكون جاسوساً، فيما كتب البطيطي أنَّ هذا بسبب إذلال التّجار المغول.

وعلى مدى العقود الأوّلى من حملةِ المغول حتى حملةِ هولاكو، جرَت حملات مغوليَّة على بغداد، وذكر المؤلف أنَّ حملات المغول كانت بقيادةِ «شرماغون»، ولم يتمكنوا في هذه الحملات من السّيطرةِ على بغداد، وقد رجعوا. ومن وجهةِ نظرِ مؤلفنا فإنَّ هذه التَّحركات أشبه بالاختبارِ؛ من أجلِ معرفة مديات الاستعداد، وهي قد سبقت حملة هولاكو بسنواتٍ، حين وصلَ المعتصم في أوّل سنواته إلى منصبِ الخلافة.

وبحسب رواية «الأحوال» فإنَّه كان يرسل 1000 دينار من الخليفة إلى هولاكو، وهل هذه ضريبةٌ أو خراجٌ عباسي إلى المغول؟، كما يروي في المصادر الأخرى، فإنَّ الأمر يحتاجُ إلى تحقيقٍ أكثر.

فمن وجهةِ نظرِ المؤلف، إنَّ العباسيين لم يُحدِّقوا بحجمِ خطر المغول الواقع، على الرَّغم من وجود هذا الجيش الكبير، وإنَّهم كانوا ـ على ما يبدو ـ نائمين، واستمر هذا الوضع حتى نصبَ «هولاكو» خيمتَه خلف أبواب بغداد، وبدأ المغول الغارات على الأطراف، فقتلَ النَّاسَ في النواحي تلك، وهرب الجميعُ إلى داخلِ مدينة بغداد، وبذلك فإنَّ الخليفةَ لم يكن يبالي بتلك المخاطر، فيما رأى البطيطي أنَّ الخليفة كان غارقاً في النوم، وأنَّ العدو نصبَ آلة الحرب، مثل: المنجنيق وغيرها من

الأدوات لحملته على المدينة (ذكر عن الخليفة وهو يتناوم، حتى إذا انتبه من رغيدته وتيقظ من سكرته، فأمر بتطويق أبوابها ونصب المجانيق والغرادات).

عبارةُ المؤلف في هذا ذات طابع أدبي، وكان يحاول إظهارَ شدة تلك الحملات، فيصف كيف كانت تقع السّهامُ والرِّماح على المدينة، وبحسب نظره فإنَّ العباسيين قد أضاعوا الوقت، ومنحوا العدو الفرصةَ لأن يكونوا خلف أبواب عاصمتهم، وفي هذا الباب وصفَ هذه الأحداث جيداً بالقول: (فَقلن بتضييعه أمره وأن رخاء العيش غره).

فكتبَ مؤلفُ الأحوال رسالتَه قبلَ عامين من فتحِ بغداد، وقد اعتمد على سماعاته في سردِ أخباره، وذلك في روايته قريباً من فتح بغداد، والّتي تأخذ أهميَّةً مضاعفةً، فتصويره للأحداثِ يأخذ ثلاث نقاطٍ أساسيَّةَ حول الإمكانيات داخل بغداد: الأوّلى تذبذب الخليفة العباسي في قراره، الثانية الوزير كان توفيقياً ويميل إلى المسامحةِ مع المغول، وفي ذلك وجود عدم إمكانيات المواجهة ونظرته السَّلبيَّة إلى الخليفةِ ومركزِه، وثالثاً كان عند أبو بكر بن المستعصم مشكلتين: الأوّلى مُصاحبته للقائدِ العسكري «دواتدار» الّذي لم يرد اسمه في هذه الرِّسالة، والثَّانية الضديَّة الكبيرة ضدِّ الشيعة، واستبداد كلُّ وزيرٍ بالآخر، ومن وجهةِ نظر المؤلف فإنَّ هذه المسألة أبرزت الحسَّ الانتقامي.

إنَّ هذا التَّفسير يشير إلى علاقاته، وإلى العملِ غيرِ الجيد بين الوزير والخليفة، فتلك الآليَّة في التَّعامل جعلت من الخليفةِ ضعيفاً أمامَ حملة المغول ومواجهتهم، وهي من الأسباب الّتي جعلت المغول يظهرون

بصورةٍ مفاجئةٍ أمام أسوار بغداد؛ لفتحها، ولذا لم يكن أمام الخليفة سوى التَّسليم والمعالجة، فهو قد حثَّهم على بغداد سِراً، وجرَهم إليها جَراً، فإذا كان الأمر كذلك فلم يرَ الخليفة إلّا أن يعرض عليهم المسامحة، ويتركَ المكافحة.

وبحسب هذه الرِّسالة التي مصادرها شفهيَّة، يجب القول إنَّها على تماس بالمغول، وإنَّ الأحداث يقف خلفها ابن العلقمي، وتعدُّ من الأمور الشّائعة يومذاك، على الرَّغم من أنَّ هذا ليس مصدراً رسمياً؛ لكنَّ دليل ذلك أنَّه شاع بين النّاس حينها.

أورد مجريات الأحداث رشيد الدّين، فذكرَ بوضوحٍ في حديثه عن مسعى «دواتدار» القائد العسكري العباسي وجهده في إزاحةِ المستعصم، وتنصيب أحد العباسيين، ربَّما أبو بكر بن المستعصم مكانه، فسمع ابن العلقمي هذا الخبر، وأوصله إلى الخليفةِ، فطلبَ الخليفة «دواتدار»، وقال له: «لن أسمع كلام الوزير حول لمزك وأقول لك يجب بأن لا تخون ولا تخرج عن جادة الطاعة»، قال دواتدار: «إذا كان عصياني ثابت فعليك قطع رأسي مع هذا فإن عفو الخليفة وصفحه أين يذهب».

إنَّ الملاحظةَ هنا حول هذا الحديث أنَّه مبنيٌّ على أساسِ الشَّائعات عن الوزير، الّتي كانت متداولة بين ألسنة النَّاس، وتحديداً في الأوساط القريبة من «داوتدار»، وهذه رؤية رشيد الدّين، واستمر دواتدار بالقول: «أمَّا الوزير المخادع الكبير فقد استولى عليه الشيطان وقد ولى هولاكو وجيش المغول وسعى لإبعاد التهمة عنه وأن يتهم الآخرين والعمل

بالضد من الخليفة فكان يشبه بين هولاكو وجواسيس متوارين»[1].

إنَّ استمرار هذه القصص يشير إلى تسلط «دواتدار» على أوضاع بغداد، ويلاحظ حدة الصِّراع مع الوزير، وهذه القصةُ تؤكدُ هذا المعنى حين اقترحَ إعطاءَ ألف دابة، وألف حمل جمل، وقد ضربَ سكةً باسمه من أجلِ دفعِ الخطر؛ لكن خالفه في ذلك «دواتدار»، ونتيجةً للنزاعِ بينه وبين الوزير فقد أرسل رسالةً أكدَّ فيها أنَّ تدبير الوزير كان لمصلحته.

وذكر رشيد الدّين: «حينما كان تعامل دواتدار مع الوزير فقد أشاع إنه كان يعمل مع هولاكو ويرمي إلى نصرته وخذلان الخليفة»[2]، إنَّ هذه التّأكيدات التي نلاحظها، والّتي يوردها مؤلفُ رسالة الأحوال عن أستراباد والوزير، أنَّ أصل هذه الإشاعات كلّها كان بسبب هذه الاتهامات، وفي هذا الباب، وبعيداً عن المجادلات داخل بغداد بين الخليفة والوزير «دواتدار» أمرَ «هولاكو» أن يتنحى الخليفة، ويسلم بغداد دون مقاومةٍ.

وفي هذه المرة فإنَّ تقريرَ الأحوال يشير إلى استمرار «هولاكو» بإرسال ممثلين عنه، وبإعطائهم الوعود من أجل خلقِ علاقةَ مصاهرةٍ، وبحسب وجهةِ نظر «البطيطي» فإنَّه يرمي من خلال وعوده مخادعة الخليفة؛ إذ أمر جيشه بأن تعود السّيوف إلى أغمادها: «إنه أرسل الخليفة مراوغاً له مخاتلاً بأن أريد مصاهرتك ومواصلتك بكريمة وكريم منا ومنكم غره واستدراجه وأبهم عليه أمره»، ونعلم من الجانب التّاريخي أنَّ الخليفة لم

(1) جامع التواريخ، سقوط المغول، ج2، ص704.

(2) جامع التواريخ، تاريخ مغول2، ص702.

يسلم بذلك، وهذا على الأقل من أجلِ حفظ سلامته، من أجل حفظِ دواتدار وآخرين، فإنَّ طريق الصّلح قد أصبح موصداً، وأصبح كلّ طرف مؤيد للحرب، وقد وصلت الأمور إلى إزاحة رأي الوزير جانباً، والعمل برأيه، ورغم هذا فلم يجنِ أيّة ثمرة عمليّاً[1].

وازدادت الضغوط العسكرية على أطرافِ بغداد، وأصبحت قيادة «دواتدار» للجند أمراً محتملاً، وأصبح الطَّريق ربَّما سالكاً لتسليم الخليفة[2]، ولم تسنح فرصة أخرى غير أن يسلم نفسه.

ولم تتكلم رسالتنا عن المناسبات على طوال أيام الحصار سوى الحديث عن نصب المنجنيق والرماة؛ لكن في الرِّسالة التي كتبها نصير الدّين الطُّوسي عن فتح بغداد، يُمكن ملاحظة الآتي: (بدأت الحرب في يوم 22 محرم من سنة 651، دارت 6 أيام بلياليها حرب ضروس وأمر الملك جماعة السادة العلماء (واركؤن) رؤساء المسيحية، والمشايخ والأشخاص الذين لا يقاتلون فإنهم في أماننا، وقد استعرت الحرب ورموا داخل المدينة بالسهام من ستة جهات، وفي الإجمال كانت هنالك حرب شديدة في لياليها وأيامها حتى يوم 28 من محرم، كانت بغداد محاصرة على يد هولاكو حتى بلوغ الفجر توجه الجيش إلى السور وأصبحوا قريبين من برج العجم وحاصروها من طرفين، وضج الناس بالصلاة بالقرب من السور حيث المغول، وحينما اخترقوا السور أمر الملك بالصعود والسيطرة على الزوارق وقطع الجسر ونصبوا الحماة والمنجنيق وآلات النفط وعندما حمى وطيس الحرب حاول دواتدار

---

(1) أنظر جامع التواريخ، تاريخ مغول، ج2، ص705-707.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص709.

أن يفرَّ عن طريق أحد الزوارق، وحينما وصل هذا إلى أسماع المغول فرموه بالمنجنيق والسهام فهرب وأمسكوا بثلاثة من قواربه، وقتلوا الناس وغنموا الأسلحة، وقد هلك نقيب العلويين في أحد الزوارق وحينما فتحوا السور أمر الملك أهل المدينة بخراب السور فبدأ الرسل بالوصول، وقال الملك لدواتدار وسليمان شاه تسليم أنفسهم، وإذا أراد الخليفة تسليم نفسه أو لم يرد)[1]، وبهذه الأوّلويَّة طرحَ أمر التَّسليم.

سَلَّم الخليفة، وحضر أمامَ «هولاكو»، وبروايةٍ أخرى: أنّه خرج في موكبٍ مع أربعمئة نفرٍ من رجالِه، وعليهم عمائم سود، وحضروا أمام «هولاكو»، ولما رآهم أسرهم، وأورد: (مكبولاً في عقد القد مدوخاً تحت الأسر والشد) وعزلَ القادةَ وأمراءَ الجيشِ والكبار ومقربيه جميعهم، وأمرَ أن يقتلهم على ساحلِ دجلة، (ثمَّ أمروا بإراقة دمائهم وقطع ذمائهم على شواطئ دجلة وحواليه).

وقبلَ قتله الخليفةَ، دارَ حوارٌ بينهم لا نعرف بصورةٍ دقيقةٍ إلى أيّ حدٍّ هو دقيقٌ، وقد ورد في المصادر الأخرى؛ لكن ما أورده يعدُّ مثيراً للانتباه.

وهنا؛ يورد المؤلف أربعة أسطرٍ من تلك الرؤية الشّيعيَّة التَّأريخيَّة ذات العبرة، وهي رؤية المؤلف من منظارٍ شيعي إلى الخليفة العباسي، وتختلف بصورةٍ كبيرةٍ عن منظار الشّيعة إلى تاريخ العباسيين مقارنةً بالآخرين، فهذا التَّاريخ ملطخٌ بجرائم بحق العلويين؛ إذ يصوّرهم أنّهم عاشوا قروناً في السّجون والتَّعذيب والتَّهجير والقتل، وبعد هذا

(1) تاريخ جهانكشاي، ج3، ص288-289.

كلّه يلاحظ أنَّ الخليفة العباسي تعرَّض إلى ضغط المغول، ويعدُّ المؤلف أنَّ ذلك جزاءُ أعمالهم في حقِ أهل بيت النبوة، وهذا الفعلُ يكاد يختزل كلَّ تلك الجرائم، فالخليفة مغلوبٌ ومكبوبٌ، ووقفَ مكتوفَ الأيدي، وكأنّه بذلك ضائقاً بما أذاقه آبائه الظّلمة على أهل البيت النّبوي، لابساً ما ألبسوه على الرّهط العلوي.

ومن جهةٍ أخرى أورد البطيطي محادثةً بين الخليفة وهولاكو، وكانت موضوعاتها مثيرةً، وفي رسالة فتح بغداد لم يظهر ما يوازيها؛ لكن خواجه نصير الدّين أورد بعض النكات والملاحظات المهمة، فذكر: (ذهب الملك لمعاينة قصر الخليفة، وكانوا معه جميعاً فأحضر الخليفة وطلب قبل قتل الأبناء إلى الملك وخواصه وعسكره والحاضرين، فقدم طبقاً من ذهب وطلب منه الأكل فقال لا أستطيع الأكل، ثم قال لماذا قاومت ولم تسلم الجند وبقيت هذه الأبواب الحديدية مؤصدة ولم تأتِ إلى جانب نهر جيحون، حتى لا نقطع كل هذه المسافة، فقال الخليفة هذا تقدير الله، فقال الملك: هذا أيضاً تقدير الله عليك، وعندما حل الليل طلب الخليفة إخراج النساء والأولاد فرافق أبناء الخليفة وكان 700 امرأة و1300 خادم)[1]، وتظهر رواية رشيد الدّين حالةً من الاندهاش حول محادثة ولقاء الخليفة مع هولاكو، وحال الخليفة العام، ومنظر مكان الذّخائر (وإجمالاً فإنَّ الخلفاء كانوا قد جمعوها في 500 سنة)[2]، وقد أورد مؤلفُ رسالة «الأحوال» عند لقاء هولاكو بالخليفة، أنَّه تلا بعضَ أعماله وأفعاله القبيحة والشّنيعة، والّتي كانت موردَ مؤاخذةٍ عليه،

---

(1) تاريخ جهانكشاي، ج3، ص290.

(2) جامع التواريخ، ج2، ص713.

وجاءَ ذلك عن طريق سؤال: (هل كان شرب الخمور، وضرب الدّفوف والطّنبور، والملاعبة بالملاهي، ومعانقة المقابح والمناهي دأبَ نبيكم محمَّد وشريعة معاطفكم؟) وكان اللواط بالغلمان، والاجتماع بالولدان، والاشتغال بالمعازف والطّيان، من سيرته وطريقته، ثمَّ أمر بإخراج تلك الآلات جميعها من قصرِ الخليفة.

«وقد أحضر ما أخرج من داره من أنواعِ الملاهي من الدّفوف المرصعة، والصفانات والبرابط، والعيدان المذهبة، وجميع أثاث الشراب والخواب المملوءة من الخمر الذّهبية، وأوانيها الفضية والقينات المغنية، والجواري المطربة، والغلمان الروق الحسان، والمسبكرات الرقاصة، وفنون أداة الميسر من النرد والشّطرنج المرصعة». وقَتلَ الخليفة دونَ سيف، وكما هي عادة المغول في المواضع التي لا يستفاد فيها من السَّيف، وقد أشار مؤلف الأحوال إلى أنَّ الخليفة قد رُكِلَ بالأرجل والأيادي دون إعمالِ السَّيف، وقيل قبل ذلك فقد قتل ابنه بين يديه؛ أي: أبي بكر، وقد رمى جنازته إلى الكلاب والعقار، ولم ترد هذه المعلومات المتعلقة بالإرث والشّراب والفساد عند رشيد الدّين في جامع التّواريخ، وقد كتب رشيد الدّين أنَّ المستعصم بالله كان زاهداً وعابداً، ولم يتناول المسكرات ولم يطأ المحرمات»[1].

وبعد قتل الخليفة أغار جيش المغول أو الترك والتَّتار على بغداد، وانهمكوا بالمذابح والاستيلاءِ على الأموالِ، وأسر النّساء والأطفال، وكتب مؤلفُ «الأحوال» في هذه الأوصاف بطريقةٍ مملوءةٍ بالأدبِ واصفاً فيها جرائم المغول: (شاهرين سيوف الغضب، مع قلوب موقدة

---

(1) جامع التواريخ، ج2، ص606.

على أولئك المسلمين والمؤمنين، وأذكوا عليها ضرام الانتقام وشرر الشرر والصخام، وألهبوا عليها شرارة الإغارة، وأوارة البوارة، وأوقدوا عليها من نار القتل والاستئصال والآسار ولظى الحرب والكروبة والتبار).

وأخذ هذا الوصفُ صفحة طويلة، وفي النهايةِ أشار إلى أسرِ النّساء والبنات، وبيعهنَّ في الأسواق: (جعلت في الوثاق وقد الرباق، مغلولة الأيدي إلى الأعناق، مبيعة بثمن بخس في الآفاق، لا سيما في كور خراسان والعراق). وبحسب كتاب مؤلف الأحوال فإنَّ المغول استحوذوا على كل الخزائن الّتي تعود إلى العصر الأموي والعباسي، فضلاً عن كل الأسلحة والعتاد: (وجمعوا أنعام تلك البقاع والنواحي لحمل ما نهبوا وسلبوا وجمعوا منها واختزلوا، فيما كادت تحمل إلا القليل من تلك النهب والنفائس الخطيرة والغنائم الكثيرة)، وقد أشار المؤلفُ إلى قضيةِ الأطفال في البلاط العباسي، فبحسب تعبيره كانوا بعيدين عن نظر النّاس، وقد وضَعوا الحراس عليهم، حتى كان المولود يشيب ولا يرى إلا والده، فيما دخل المغول بغداد قتلوهم عن آخرهم.

وبهذا فإنَّ سلطة العباسيين قد انتهت، وقطعوا نسلهم، وخربت عمائرهم، ومحيت آثارهم، وأطفأ نورهم، وجعلوا قصورهم وقبورهم وجزبهم شرورهم وغرورهم، ورجعوا إلى صدورهم وبهتانهم وزهدهم)، وذكر أيضاً: (وكم قسمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين)[1]، ومرةً أخرى يفيد المؤلف الشّيعي بخلفيته الشّيعيَّة الخاصة بحسب الروايات الّتي سمعها، وذلك من خلال كثير من الإشارات في المصادر والتّوقعات، مثل: حملة المغول عندما شنَّ

(1) الأنبياء: 11.

الجيش العباسي الحملة وقارن بينها، وحاول أن يستخلص العبرة منها، وقارن بين حملة المغول وما قام به الجيش العباسي من حملة على المحلة الشّيعيَّة: (الكرخ وأعمالهم للقتل في الشّيعة العلويين وكان يقود ذلك أبو بكر ابن الخليفة، وأشار إلى كل ذلك من باب العبرة المستعصم وقع فيهم الانتقام الإلهي فقد ذكر بجرائمهم وقال: وكان الخليفة المستعصم هذا؛ أمرَ تعصباً وعداوةً الإغارةَ على أهل الكرخ من بغداد وقتل أهليها، وسبى جواريها حتى دخلوا على النساء العلوية وغيرها من الشيعة، وأخرجوهم من ديارهم سبايا يبعن في بغداد وأموالهن كذلك، وكان أرسل لذلك الأمر بأهل الكرخ ابنه أبا بكر، فلم تنقض تلك السنة حتى تلك الظلمة حتى أضيقوا من تلك الكأس وأشربوا من تلك الجرع من البأس، وصدق الله بهم قوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون)[1]، وجرى على سنته المحمّودة وطريقته المعهودة: (في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدورا)[2].

وآخر عبارات المؤلف تحديده تاريخَ حملة المغول على بغداد، وقد ذكر: (وقعت التَّتار في سنة 656؛ لكن وجدت قبل مناوشات في أيام شهر محرم في تلك السنة)، (وكانت جرت وقعة التَّتار المغال وشدة وطأتهم وصعود فتنتهم على بغداد وما حولها من البلاد المعمورة والأمصار المشهورة، ففي سنة 656م على نفس بغداد ففي إحدى جمعات وسط شهر المحرم من التاريخ المذكور).

وقد ذكرَ «البطيطي» في هذا قصيدةً وصفَ فيها تلك الحوادث بحسٍّ

(1) الأنعام: 127.

(2) الأحزاب، 38.

أدبي رفيع، وذكر القصيدة في عدم الأمان من الدّنيا، وتصوير بغداد تحت سيطرة المغول أكثر أمر صادق لعدم أمان الزمان.

وكتب في النهايةِ هذه الأوصاف: لما فرغ «هولاكو» من أمرِ بغداد وغيرها من البلاد استراح سنةً، وأرسل بالذخائر والغنائم إلى حضرة «منكا خان»، وبعض أبناء الخليفة المستعصم كانوا جزءاً من الهدية، بمنزلةِ هدية السّفر، وتهيأ لبلاد الشام ومصر ثمَّ توجه إلى تلك البقاع.

في اللغة العربية، وأنه قد نظمَ الشعر العربي

[1]

البابُ السّابعُ والعشرونَ

في مجملٍ مِنْ أحوالِ ملوكِ التَّتارِ الأمغلةِ الذِينَ ظفرُوا بالملكِ في زمانِنا

«بِدَايَةُ أَمْرِ جنكيز وَرِئَاسَتُهُ عَلَى قَوْمِهِ»

اِعْلَمْ أَنَّهُ حَكَى لِيَ [أَحَدُ] الأُمَنَاءِ، وَهُوَ حَبِيْبُنَا الأَعَزُّ أَمِيْنُ الدِّيْنِ مُحَمَّدُ بنُ أَمِيرِكَانَ الأَسْتَرْآبَادِيُّ قَالَ:

حَكَى لِي بِقَراقُورَمُ[1] مُحَمَّدُ الخَفَّافُ عَنْ بِعْضِ الْمُغَالِيْنَ الذِي كَانَ شَيْخاً دَهْرِيّاً مِنْ جُمْلَةِ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى آلِ جَنْكِيزَ خَانَ، وَتَعَرَّفَ مِنْ حَالِهِم مُشَاهَدَةً وَعِيَاناً: إِنَّهُ كَانَ جَنْكِيزُ خَانُ رَجُلاً دَاهِياً ذَا ذِهْنٍ وَرَوِيَّةٍ كَامِلَةٍ وَذَكَاءٍ وَفِطْنَةٍ، وَكَانَ حَدَّاداً نَصَّالاً،[2] وَكَانَ قَوْمُهُ شِرْذِمَةً قَلِيْلِيْنَ،[3] لَا غَنَاءَ عِنْدَهُمْ وَلَا دِفَاعَ لَهُمْ، يَحْكُمُ فِيْهِمْ وَعَلَيْهِمْ قَوْمٌ آخَرُوْنَ يُقَالُ لَهُمْ نَيَمانِيُّوْنَ،[4] وَهَؤُلَاءِ كَانُوا كَثِيْرِيْنَ مُنْتَشِرِيْنَ شُجَّعاً مُغِيْرِيْنَ، فَكَانُوا يَتَجَاوَزُوْنَ طَوْرَهُمْ وَيُكْثِرُوْنَ جَوْرَهُمْ عَلَى قَوْمِ جَنْكِيزَ خَانَ، وَيَظْلِمُوْنَهُمْ، وَيَسْلُبُوْنَ جَوَارِيَهُمْ وَغِلْمَانَهُمْ، حَتَّى بَلَغَ سَيْلُهُمُ الزُّبَى، وَكَادَ

---

(1) في الأصل: وبقراقورم ـ قراقوروم مدينة كبيرة بنيت في عهد أوكتاي قاآن وأصبحت عاصمة المغول.

(2) النَّصَّالُ: صانع النِّصال ـ و(النَّصْلُ) السَّهْمُ والسَّيْفُ والسِّكِّيْن والرُّمْحُ والجَمْعُ (نُصُولٌ) و(نِصَالٌ) و(المُنْصُلُ) بضمِّ الصَّاد وفَتْحِها السَّيْفُ. (المقوّم اللّغويّ).

(3) الشِّرْذِمَةُ: الطَّائفَةُ من النَّاس والقطْعَةُ من الشَّيْءِ. (المقوّم اللّغويّ).

(4) يشير إلى قبيلة نايمان، المعاصرة للخوارزميّين والهمپيان والذين وقفوا مع دولة القراخانيّين. وهؤلاء القوم حكموا تركستان الشّرقيّة بقيادة كوچلك خان حاكم تركستان، لكنّهم سقطوا على يد المغول بقيادة چنگيز.

يَنْقَدُّ فِي البَطْنِ السَّلَى.[1]

فَاجْتَمَعَ قَوْمُ جَنْكِيزَ خَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، وَكَانَ أَخْفَضَهُمْ نَسَباً، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ ثَرْوَةٌ لَمْ تَكُنْ لِأَصْحَابِهِ، فَتَشَاوَرُوا فِي إِصْلاَحِ حَالِهِمْ وَرَيْشِ نِبَالِهِمْ،[2] وَرَمِّ شَعْثِهِمْ،[3] وَأَنَّ الفَسَادَ مِنْ أَيَّةِ جِهَةٍ تَطَرَّقَ إِلَيْهِمْ، وَالأَعْدَاءَ كَيْفَ يَسْتَوْلُوْنَ عَلَيْهِمْ!.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ تَشَتُّتَ شَأْنِنَا وَتَشَعُّثَ أَمْرِنَا وَتَقَسُّمَ حَالِنَا لَيْسَ إِلَّا لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيْنَا سَيِّدٌ ذُوْ دَهَاءٍ، وَلا حَاكِمٌ ذُوْ رَأْيٍ وَذَكَاءٍ، يُدَبِّرُ أَمْرَنَا وَيُصْلِحُ حَالَنَا، نَلْتَجِئُ إِلَيْهِ عِنْدَ دَهْمِ دَاهِيَةٍ،[4] أَوْ نُشَاوِرُهُ عِنْدَ صَدْمِ بَاقِعَةٍ؛[5] وَكُلُّ مَنْ سِوَانَا لَهُمْ رَأْسٌ وَسَيِّدٌ أَيِّدٌ.[6]

فَاتَّفَقَتْ أَهْوَاؤُهُمْ وَاجْتَمَعَتْ آرَاؤُهُمْ عَلَى تَسْوِيْدِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَكُوْنُ فِيْهِ شَهَامَةٌ يَلِيْقُ بِهِ، [و] لَمْ [يَكُنْ بِهِ] رَغَامَةٌ،[7] وَلَمْ [يَكُنْ] جَنْكِيزُ إِذْ ذَاكَ

---

(1) لما بلغ الأمر حدّه، العرب تقول: قد علا الماء الزّبى، وانقدّ في البطن السّلى (تاريخ دمشق [بيروت، 1415]: 39/363).

(2) رَاشَ السَّهْمَ أَلْزَقَ عليه الرِّيشَ فهو مَرِيشٌ. (المقوّم اللّغويّ).

(3) (رَمَّ) الشيَّءَ يَرُمُّهُ بضمِّ الرَّاءِ وَكَسرِها (رَمًّا) وَ(مَرَمَّةً) أَصْلَحَهُ. (المقوّم اللّغويّ).

(4) الدَّاهية: واحدة الدّواهي، وهي ما يصيب النّاس من شدائد الدّهر ونوازله. والداهية: الرجل الحاذق البصير بالأمور. (المقوّم اللّغويّ).

(5) (البَاقِعَةُ) ما يدهم من مصائب. ورجل باقعة: داهية وحذر ذُو حيلة، وطائر باقعة حذر؛ إذا شرب الماء تلفّت يمنة ويسرة والجمع بواقع. (المقوّم اللّغويّ).

(6) (الأَيْدُ) وَ(الآدُ) بِالمَدِّ القُوَّةُ، ورَجُلٌ (أَيِّدٌ) بوزن جيدٌ: أي قَوِيٌّ. (المقوّم اللّغويّ).

(7) رغامة: الذُّلُّ.

مَعَهُمْ فِي هَذِهِ المَشُوْرَةِ وَالكِنْكَاشِ؛[1] وَأَجَالُوْا أَذْهَانَهُمْ فِي كُلِّ [شَيْءٍ] حَتَّى اجْتَمَعَتْ أَقْوَالُهُمْ عَلَى أَنَّ [2] جَنْكِيزَ الحَدَّادَ لَهُ اسْتِعْدَادُ هَذَا الأَمْرِ وَاسْتِحْقَاقُ هَذَا الشَّانِ، فَفِيْهِ حَصَافَةٌ وَكِيَاسَةٌ وَذَكَاءٌ وَفَطَانَةٌ؛[2] فَقَامُوْا بِأَسْلِحَتِهِمْ إِلَى بَابِهِ، وَأَرْسَلُوْا مَنْ يَدْعُوْهُ لَهُمْ.

فَلَمَّا أُخْبِرَ بِذَلِكَ أَوْجَسَ فِيْ نَفْسِهِ خِيْفَةً،[3] وَخَرَجَ بِسِلاَحِهِ، وَقَامَ نُبْذَةً وَانْتَبَذَ نَاحِيَةً،[4] وَنَادَاهُمْ: يَاهَؤُلاَءِ! أَظُنُّكُمْ جِئْتُمُوْنِي بِالشَّرِّ، وَلَعَلَّ قَلِيْلَ مَالِيْ مَلأَ عُيُوْنَكُمْ حَتَّى أَسَأْتُمْ فِيَّ ظُنُوْنَكُمْ، فَوَاللهِ لَا تَسْلُبُوْنَ مَالِيَ وَقَدْ بَقِيَ فِيْ يَدِيْ قَوْسِي وَنِبَالِي، وَإِلَّا فَامْضُوْا عَلَى أَدْرَاجِكُمْ، فَإِنَّ وَفْرِيَ لا يُشْبِعُ بَطْنَكُمْ،[5] وَرَذَاذِيَ[6] لا يُسَكِّنُ غُلَّتَكُمْ.[7]

فَقَالَ القَوْمُ: مَا جِئْنَاكَ مُضِرِّيْنَ وَلَا مُغِيْرِيْنَ، وَإِنَّمَا سَاقَنَا إِلَيْكَ مَصْلَحَةٌ عَامَّةٌ لَابُدَّ لَكَ مِنْ إِجَابَتِنَا إِلَيْهَا.

---

(1) كنكاش أو كنكاچ، كلمة مغوليّة بمعنى الفحص عن تعيين رجل من رؤساء القبائل للسّلطنة.

(2) الفَطَانَةُ المهارة والحِذق وقوّة استعداد الذّهن لإدراك ما يرد عليه. وفَطِنَ الأمرَ: علمه وتبيّنه. (المقوّم اللّغويّ).

(3) أوجس خيفة: خاف في نفسه من غير أن يظهر الخوف على وجهه. ومنه قول الله تعالى عن النّبيّ موسى عليه السّلام: (وأوجس في نفسه خيفة موسى). (المقوّم اللّغويّ).

(4) الانتباذ عن النّاس: الانعزال عنهم. (المقوّم اللّغويّ).

(5) الْوَفْرُ: بوزن النَّصرِ: المالُ الكثيرُ. (المقوّم اللّغويّ).

(6) الرّذاذ: المطر القليل.

(7) (الغُلّةُ) و(الغَلِيلُ) حرارة العَطَشِ. (المقوّم اللّغويّ).

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ قَالَ: فَإِنْ كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ، فَارْجِعُوْا إِلَى بُيُوْتِكُمْ، وَانْزِعُوْا أَسْلِحَتَكُمْ وَضَعُوْهَا،(8) ثُمَّ لِيَرْجِعْ إِلَيَّ بَعْضُكُمْ، فَأَرَى رَأْيِي.

فَفَعَلُوْا كَذَلِكَ وَأَتَاهُ بَعْضُهُمْ، وَبَثُّوْا إِلَيْهِ خَفِيَّ أَمْرِهِمْ،(9) فَأَبَى وَنَبَا، حَتَّى أَلَحُّوْا عَلَيْهِ. فَقَالَ: فَإِذَا كَانَ لَابُدَّ مِنْ ذَلِكَ، فَعَاهِدُوْنِي وَبَايِعُوْنِي عَلَى الطَّاعَةِ وَالتِّبَاعَةِ، وَلا تَخْرُجُوا عَمَّا أُسُنُّهُ فِيكُمْ، وَلا تَطْرَحُوا يَاسَاقِي،(10) وَأَوَامِرِي. فَعَاهَدُوْهُ عَلَى الإِمَارَةِ وَالرِّيَاسَةِ وَسَوَّدُوْهُ فِي الرِّعَايَةِ وَالسِّيَاسَةِ.

وَكَانَ لَهُمْ عَادَةٌ سَيِّئَةٌ فِيْ الإِتْيَانِ إِلَى النِّسَاءِ الأَجْنَبِيَّاتِ، وَإِطَالَةِ الأَيْدِيْ إِلَى الجَوَارِيْ، وَالسَّرِقَةِ، وَسَلْبِ بَعْضِهِمْ مَالَ بَعْضٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الشِّيَمِ الرَّذِيْلَةِ وَالأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ، فَأَجْرَى إِلَيْهِمْ يَاسَاتِهِ، بِأَنَّ مَنْ لَمْ يَمْتَنِعْ عَنْ هَذِهِ الأَفَاعِيلِ الرَّكِيكَةِ غَيْرِ الجَمِيْلَةِ، أَمَرْتُ بِقَتْلِهِ، وَنَهْبِ أَمْوَالِهِ وَأَهْلِهِ، حَتَّى امْتَنَعُوْا عَنْهَا وَصَلُحُوْا. ثُمَّ قَالَ: فَلْيَتَهَيَّأْ كُلٌّ بِمَا لَهُ [3] مِنَ العُدَدِ وَالآلَةِ وَلْيَتَشَمَّرْ.

---

(8) في الأصل: ووضعوها.

(9) أَبَثَّهُ سِرَّهُ: أظهره له. (المقوّم اللّغويّ).

(10) ياساتي: لم أعثر في المراجع على معنى الكلمة، لكن جاء في القاموس: يَئِسَ يَيْئِسُ بالكسرِ فيهما ـ وهو شاذّ. ورجلٌ (يَئُوسٌ) ويَئِسَ أيضاً بمعنى «عَلِمَ» في لغة النَّخَعِ. ومنه قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا) سورة الرّعد الآية (31). ولعلّ قصده هنا قراراته المبنيّة على علومه. (المقوّم اللّغويّ).

«حُرُوبُ جنكيزخَانَ مع النَّيمانِيِّين»

ثُمَّ أَمَرَهُمْ بالالْتِجاءِ إِلى أَمْنَعِ الأَمَاكِنِ وَأَحْصَنِ المَوَاقِفِ،[1] مِنْ غِيْرَانِ بِلاَدِهِمْ وَأَوْدِيَتِهَا وَأَنْ يُنْزِلُوْا بِها حُرُمَهُمْ وَأَهَالِيْهِمْ وَمَنْ لَا غَناءَ لَهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَفَعَلُوْا كَذَلِكَ، فَأَرْسَلَ نَيُمانِيْنُ[2] دِسِيْساً إِلَى أَعْدَائِهِمْ وَجَاسُوساً يَتَجَسَّسُ مِنْ شَأْنِهِمْ وَمَكَانِهِمْ،[3] حَتَّى إِذا غَابَ مِنْ أَهْلِ بِلاَدِهِمْ شُجْعَانُهُمْ وَذَوُوْ غَنائِهِمْ عَنْ مَنَازِلِهِمْ، لِمَا كَانَ النَّيُمانِيُّوْنَ سَلاَّبِيْنَ مُغِيْرِيْنَ حالاً فَحالاً؛ أَخْبَرَهُ الدَّسِيْسُ بِذَلِكَ إِلَى أَنْ اتَّفَقَتْ غَيْبَتُهُمْ حِيْناً مِنَ الأَحْيَانِ، وَلَمْ يَغْبَرْ[4] فِي المَنْزِلِ إِلاَّ ضِعَافُ الصِّبْيَانِ وَالنِّسْوانُ، أَمَرَ شِرْذِمَتَهُ بِالتَّهَيُّؤِ لِلْفَتْكِ بِهِمْ وَالهُجُوْمِ عَلَيْهِمْ؛ فَدَهَمُوْهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ مُغْتَرِّيْنَ فَارِغِيْنَ، وَانْتَهَبُوْا أَمْوَالَهُمْ النَّاطِقَةَ وَالصَّامِتَةَ،[5] وَاسْتَبَوْا أَزْوَاجَهُمْ وَأَوْلاَدَهُمْ وَجَوارِيَهُمْ إِلَّا مَا انْفَلَتَ مِنْ رِبْقَتِهِمْ، وَرَجَعُوْا غانِمِيْنَ سالِمِيْنَ وَافِرِيْنَ، فَرَمُّوْا بِأَمْوَالِهِمْ شَعْثَ أَحْوَالِهِمْ.

---

(1) في المخطوطة: المرافق.

(2) صورة أخرى من كلمة: «نايمان».

(3) دَسَّ الشَّيْءَ في التّراب أخفاه فيه. وهو هنا الجاسوس يُدَسّ في العدو يأتي بأحواله وأخباره. ويقابله الحاسوس وهو من يبحث عن شيء يخصّه، ومنه قول الله تعالى على لسان يعقوب لبنيه: (اذهبوا فتحسّسوا من يوسف وأخيه). (المقوّم اللّغويّ).

(4) ولم يبق.

(5) المال النّاطق الدّوابّ، والصّامت النّقود والدّنانير. (المقوّم اللّغويّ).

وَالقَوْمُ - أَعْنِيْ أَعْدَاءَهُمْ - إِذْ ذَاكَ كَانُوْا قَدْ فتكُوْا بِالقَفْجَاقِ،[1] وَهُمْ جَمٌّ غَفِيْرٌ مِنَ التُّرْكِ، فَرَجَعُوْا بِأَمْوَالِهِمْ وَافِرَةً، فَأُخْبِرُوْا بِمَا جَرَى عَلَى مُخَلَّفِيهِمْ وَأَهْلِيْهِمْ، فَاجْتَمَعَ كِبَارُهُمْ وَذَوُوْ آرَائِهِمْ يَتَفَكَّرُوْنَ فِيْ أَمْرِ الحَدَّادِ جنكيز، وَأَنَّهُ كَيْفَ تُدْفَعُ جُرْأَتُهُ وَجَرِيْرَتُهُ، وَتُخْمَدُ نَائِرَتُهُ قَبْلَ هَيَجَانِ شُعْلَتِهَا وَثَوَرَانِ فِتْنَتِهَا.

فَقَالُوْا: وَرُبَّمَا يَكُوْنُ الالْتِفَاتُ إِلَى الأَمْرِ الحَقِيْرِ يَصِيْرُ سَبَباً لِفَخَامَتِهِ وَوَسِيْلَةً إِلَى جَسَامَتِهِ، بَلْ الاسْتِنَامَةُ وَقِلَّةُ الاحْتِفَالِ بِهِ أَدْعَى إِلَى الحَزَامَةِ وَأَجْذَبُ لِلسَّلَامَةِ.

وَقَدْ أَخْطَؤُوْا فِيْ ذَلِكَ وَأَسَاؤُوْا أَمْرَهُمْ هُنَالِكَ، فَإِنَّ الحَكِيْمَ قَدْ قَالَ: لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيْرَةً فَإِنَّ الجِبَالَ مِنَ الحَصَى، وَإِنَّ قَلِيْلَ النَّارِ يَحْرِقُ كَثِيْرَ الدِّيَارِ، وَالفِتْنَةُ صَغِيْرَةً تَسْكِيْنُهَا[2] أَيْسَرُ وَأَسْهَلُ مِمَّا إِذَا اهْتَاجَتْ وَانْبَعَثَتْ وَطَالَتْ فُرُوْعُهَا وَنَمَتْ أُصُوْلُهَا [4] وَتَشَعَّبَتْ أَبْوَابُهَا وَفُصُوْلُهَا. فَقَالُوْا: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَلِيْقُ بِحَالِنَا أَنْ نُوَاجِهَهُمْ كِفَاحاً وَنُقَاتِلُهُمْ جِهَاراً وَصِفَاحاً.[3]

وَجنكيزُ لَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ الْتَجَأَ إِلَى بَعْضِ رُؤُوْسِ الأَجْبَالِ[4] المَنِيْعَةِ وَالأَمَاكِنِ المُتَحَصِّنَةِ.

---

(1) كذا في الأصل مع هذا الإعراب. في الفارسيّة: قبچاق (مع سكون الباء).

(2) في الأصل: تسلينها!.

(3) (كَفَحَهُ) استَقْبَلَهُ كَفَّةً كَفَّةً. وفي الحَدِيثِ: إِنِّي لَأَكْفَحُهَا وَأَنَا صَائِمٌ. أي أُوَاجِهُهَا بِالقُبْلَةِ. وَفُلَانٌ (يُكَافِحُ) الأُمُورَ أَيْ يُبَاشِرُهَا بِنَفْسِهِ. وصَفْحُ الشَّيْءِ نَاحِيَتُهُ، وصَفْحُ الجَبَلِ مِثْلُ سَفْحِهِ. يريد أنّه يقابلهم بشكل علنيّ وجهاً لوجه. (المقوّم اللّغويّ).

(4) الأجبال: جمع جبل جمع تكسير. تقول: أجبل - جبال - أجبال. (المقوّم اللّغويّ).

فَرأَى النَّيمانِيُّوْنَ أَنْ يَنْزِلُوْا حَوْلَ ذَلِكَ الجَبَلِ بِلَفِّهِمْ وَلَفِيْفِهِمْ[1] وَيُجَعْجِعُوْا بِهِمْ حَتَّى يَصِيْرُوْا مُضْطَرِّيْنَ،[2] فَيَكُوْنُ صُيُوْرِ[3] أَمْرِهِمْ، إِمَّا دَمَاً أَوْ إِسَاراً، وَلَمْ يَعْلَمُوْا أَنَّ القَتْلَ بِالحَقِّ أَوْلَى وَأَجْدَرُ، وَبَذْلَ النَّفْسِ سَاعَةً أَوْلَى مِنْ ذُلِّهَا أَبَداً وَأَيْسَرُ.

فَاحْتَفُّوْا بِذَلِكَ المَكَانِ نَازِلِيْنَ.

وَهُمْ - عَلَى قِلَّتِهِمْ - كَالصُّقُوْرِ يَعْبَثُوْنَ بِهِمْ وَيَعِيْثُوْنَ عَلَيْهِمْ وَيَنْقَضُّوْنَ إِلَيْهِمْ آوِنَةَ الاغْتِرَارِ وَالغِيَابِ مِنْهُمْ حَتَّى إِذَا اسْتَنَامُوْهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ، هَجَمُوْا عَلَيْهِمْ وَقَتَلُوْا كَثِيْراً مِنْهُمْ، وَانْهَزَمَ البَاقُوْنَ؛ فَاسْتَحْوَذُوْا عَلَى وُفُوْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَخَيْلِهِمْ وَإِبِلِهِمْ وَغَنَمِهِمْ، وَصَارُوْا مُثِيْرِيْنَ [مُثْرِيْنَ] أَغْنِيَاءَ وَذَهَبَ عَنْهُمْ القُلُّ،[4] وَفَارَقَهُمْ المَهَانَةُ وَالذُّلُّ، وَاتَّصَلَ بِهِمْ المُسْتَغْنِمُوْنَ وَالمُسْتَغِيْرُوْنَ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَالْتَفُّوْا بِهِمْ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ،[5] حَتَّى صَارُوْا جِيْلاً كَثِيْراً[6] وَجَمّاً غَفِيْراً، فَبَسَطُوْا أَيْدِيَهُمْ وَأَطَالُوْهَا إِلَى البِقَاعِ وَالبُلْدَانِ، قَسْراً وَقَهْراً، وَافْتَتَحُوْهَا جَوْراً وَجَبْراً.

---

(1) اللّفُّ واللّفيف: ما اجتمع من النّاس من قبائل وأخلاط شتّى شريفهم ووضيعهم، قويهم وضعيفهم. (المقوّم اللّغويّ).

(2) (الجَعْجَعَةُ) في الأصل صَوْتُ الرَّحَى. وفي المثل: أَسْمَعُ جَعْجَعَةً ولاَ أَرَى طِحْنًا. بِكَسْرِ الطَّاءِ أَيْ دَقِيقاً. وقد استعاره هنا للإشارة إلى صوت جلبة الجيش وحركته ليحرّكهم ويقلقهم. (المقوّم اللّغويّ).

(3) جاء من كلمة «الصّيرورة»: وإلى من يكون صيور أمرها.

(4) القُلُّ: الحاجة وضيق ذات اليد. (المقوّم اللّغويّ).

(5) شوب.

(6) الجيل: كلّ صنف من النّاس. (المقوّم اللّغويّ).

«سُلْطَةُ جنكيزَ خَانَ عَلى بِلاَدِ الصين»

وَصَارَ جنكيزُ خَانُ كَبِيْرَاً وَأَمِيْرَاً شَهِيْرَاً، مَبْسُوْطَ البَاعِ، كَثِيْرَ الجُنْدِ وَالتُّبَّاعِ، وَطَمَحَ بِبَصَرِهِ[1] إِلَى البِلاَدِ القَاصِيَةِ وَالأَمَاكِنِ النَّائِيَةِ، وَتَرِدُ إِلَيْهِ التُّجَّارُ وَذَوُوْ الاخْتِبَارِ وَالأَخْبَارِ، يُخْبِرُوْنَهُ بِأَحْوَالِ البُلْدَانِ وَنَوَاحِي الآفَاقِ حَتَّى اسْتَوْلَى عَلَى طَرَفِ كُلٍّ[2] مِنْ بِلاَدِ خُطَاءَ.

وَامْتَنَعَ عَلَيْهِ بَعْضُ مُلُوْكِ خُطَاءَ أَلْتُوْنُ مَلِكُ، فَحَاصَرَهُ بِأَجْنَادِهِ مُدَّةً مَدِيْدَةً، وَلَمْ يَكُنْ يَزْدَادُ سَعْيُهُ إِلَّا إِكْدَاءً وَلَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ إِلَّا أَجْدَاءً.[3]

[5] وَكَانَ فِيْ جُنْدِهِ رَجُلٌ بَارِعٌ كَامِلٌ مِنَ الشِّيْعَةِ سَدِيْدَةٌ عَرَبِيُّ النَّسَبِ وَاللِّسَانِ، يُقَالُ لَهُ «جعْفَرُ خَوَاجَهْ» فَأَتَى جنكيزَ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَالَ لَهُ: أَيَّ شَيْءٍ كُنْتَ تَصْنَعُ بِيْ مِنَ الإِحْسَانِ إِنْ فَتَحْتُ لَكَ هَذِهِ البَلْدَةَ؟. وَهِيَ خَانُ بَالِغٍ.[4]

فَقَالَ: إِنْ تَيَسَّر لَنَا الأَمْرُ عَلَى يَدِكَ، فَلَكَ مُلْكُ أَلْتُوْنَ مَلِكِ، وَزَوْجَتُهُ وَسَرِيْرُهُ.

---

(1) في الأصل: ببصرة.

(2) في الأصل: كل مل!.

(3) الكدُّ الشِّدَّةُ في العمل وطلبُ الكسب. و(كَدَّهُ) أَتْعَبَهُ. و(يُجْدِي) عنك هذا يُغْنِي. (المقوّم اللّغويّ).

(4) في الأصل: خام بالغ. «خان بالغ» يسمّى اليوم بيجين أو پكّين.

وَكَانَ جعفرُ قَدْ عَرَفَ خَفَاءَ بِأَطْرُقِهَا[1] لِكَثْرَةِ مَا كَانَ يَتَّجِرُ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ بِالجُنْدِ إِلَى بَعْضِ الطُّرُقِ، وَقَبَضَ عَلَيْهَا وَافْتَتَحَهَا، وَأَسَرَ مَلِكَ أَلْتُونَ، فَقَتَلَهُ[2] جَنْكيزُ خَانُ، وَفَوَّضَ إِلَى جعفرَ مَا عَاهَدَهُ أَنْ يُفَوِّضَهُ إِلَيْهِ مِنْ سَرِيْرِهِ وَزَوْجَتِهِ، وَرَجَعَ عَنْهُ مَعَ غَنَائِمَ لا تُحْصَى وَلا تُعَدُّ.

---

(1) كذا. يحتمل: خفاء طرقها أو خفيّ طرقها.

(2) في الأصل: قتلها.

«چنكيزْ خانْ وسُلْطانْ خوارزمشاهْ»

ثُمَّ هيَّأَ جَيْشَهُ إلى بلادِ قفجاقَ،[1] واستولى على بعضها، فلمّا ظهر أَمْرُهُ وانتشر شأنُهُ؛ حتّى نُمِيَ إلى سُلْطانِ خوارزم، فهابَهُ في نفسه، واستقبل الأَمْرَ قبل استفحالِهِ وَوَبالِهِ، وتفاقم نكالِهِ وأَثْقالِهِ، وبعث إلى التّتارِ بجَيْشِهِ، فعالجُوهُمْ وناوشُوهُمْ، ونالُوا من التّتارِ أَمْوالاً جمّةً وسبايا كثيرةً، وفَلّوا[2] نابَهُمْ وفَتّوا في عضدِهِمْ، وقطعُوا طمعَهُمْ عن الطُّمُوحِ إلى بلادِ إيرانَ وما وراءَ النَّهرِ، ورضُوا ببلادِهِمْ، ومدُّوا أعناقَهُمْ إلى المُصالحةِ وأَيْدِيَهُمْ إلى المُصافحةِ. وسُلْطانُ ذلك الأوانِ يُسامحُهُمْ ويُعاملُهُمْ بالمهانةِ الرّادعةِ عن تصوّرِ المهانةِ مِنْ جهةِ الخُصُومِ؛ والعقلُ يقضي بذلك أحياناً، فإنَّ لِكُلِّ أمرٍ وجهاً وزماناً ومقصداً ومكاناً. حتّى آلَ الأَمْرُ إلى السُّلْطانِ مُحَمَّدٍ[3] وكانَ ذا شَوْكَةٍ مُحْدِباً،[4] شَدِيْدَ الغَيْظِ والغَيْرَةِ، حتّى سمعْتُ كثيراً مِنَ الكِبارِ أنّهُ

(1) كذا ـ ورد سابقاً بلفظ: قبجاق.

(2) يحتمل: فلّوا.

(3) وكما جاء في مقدّمة هذه الرّسالة: إنّ السّلطان محمّد (حكمه 596 ـ 617) قبل حملة چنگيز على الغرب، حتّى جاء عهد ابنه جلال الدّين الذي حلّ مكانه، وهو قد اصطدم بالمغول، وفي الحقيقة كان ذلك الحرب الأولى التي وقعت في عهده والتي استطاع فيها أن يحوز على أراضي مهمّة من العالم الإسلاميّ في ما وراء النّهر حتّى خراسان. ويلحظ أنّ هذا المطلب الذي أورده المؤلّف قد وقع في خطأ وخلط بين السّلطان محمّد وابنه جلال الدّين.

(4) الحدبة: الشّدّة.

كَانَ يَلُوْمُ أَحيَاناً أَبَاهُ السُّلْطَانَ عَلَى مُسَامَحَةِ التَّتَارِ وَمُدَارَاتِهِمْ، وَيَسْتَحِثُّهُ عَلَى تَضْيِيْقِ الأَمْرِ عَلَيْهِمْ وَالجَعْجَعَةِ بِهِمْ فِي دَارَاتِهِمْ.

فَلَمَّا آلَ الأَمْرُ إِلَيْهِ، هَيَّأَ لَهُمْ جُنْداً جَرَّاراً [6] يُثِيْرُ عَلَى التَّتَارِ مِنْ شِدَّةِ المُكَافَحَةِ نَاراً، وَقَامَتْ الحَرْبُ بَيْنَهُمْ عَلَى سَاقِهَا، وَضَاقَتْ الحُجْنُ[1] عَنْ نِطَاقِهَا حَتَّى رَكِبَ بِنَفْسِهِ إِلَيْهِمْ وَنَاوَشَهُمْ الحَرْبَ، وَنَكَى[2] فِيْهِمْ نِكَايَةً، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ تَجَاوَزَ طَوْرَهُ، وَأَرَادَ أَنْ يَسْلُكَ فِيْ طَلَبِ المُلْكِ نَجْدَهُ وَغَوْرَهُ.

فَاتَّفَقَ أَنَّ وَاحِداً مِنْ آلِ جَنْكِيزَ خَانَ أَوْ بَعْضَ أَبْنَائِهِ كَانَ رَكِبَ لِلصَّيْدِ مَعَ جُنْدٍ جَرَّارٍ كَانُوْا فِيْ الحُرُوْبِ كَأُوَارَةِ نَارٍ، وَافَى السُّلْطَانَ فِيْ بَعْضِ الأَمَاكِنِ، فَطَالَبَ السُّلْطَانَ بِتَخْلِيَةِ سَبِيْلِهِ وَأَلَّا يَتَعَرَّضَ لَهُ بِسُوْءٍ، فَلَمْ يُخْلِ السُّلْطَانُ سَبِيْلَهُ وَلَمْ يُعْطِهِ سُؤْلَهُ وَأَبَى إِلَّا التَّضْيِيْقَ عَلَيْهِ وَالأَسْرَ لَهُ وَلِجُنُوْدِهِ، وَكَانَ الرَّجُلُ الخَانِيُّ مَوْصُوْفاً بِجُرْأَةِ الجَنَانِ وَمُعْتَضِداً بِقُوَّةِ البَنَانِ،[3] عَالِماً بِأَعْمَالِ الضِّرَابِ وَالطِّعَانِ، فَلَمْ يَرَ إِلاَّ أَنْ يَدْهَمَ السُّلْطَانَ وَيَهْجُمَ عَلَيْهِ، فَإِنْ خَلَّى سَبِيْلَهُ وَإِلَّا بَلَغَ عُذْرَهُ، «وَمُبْلِغُ عُذْرٍ نَفْسَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ»[4] فَزَحَفَ بِجُنْدِهِ عَلَى صُفُوْفِ السُّلْطَانِ، وَشَقَّهَا شَقَّ الشَّعْرَةِ بِالبَنَانِ.

---

(1) كذا الأصل. إضافة المقوّم اللّغويّ: ولكن بتخفيف الجيم لا بتثقيلها بالشّدّة. والحجنة: كلّ معوجّ. وحجن الشّعر: تجعّدت أطرافه. وهو هنا كناية عن ضيق الأمور والتوائها وتشعّبها.

(2) الأصل: بكى.

(3) الجَنان: القلب. والبَنان أصابع اليد. يريد الإشارة إلى قوّتها. (المقوّم اللّغويّ).

(4) وتمام البيت هكذا: ليبلغ عذراً أو يصيب غنيمة / ومبلغُ نفسٍ عُذرَها مثل منجحِ.

فَاطَّلَعَ بِذَلِكَ عَلَى خَوَرِ عُوْدِ الخَوَارِزْمِيَّةِ، فَشَاوَرَ فِيْ مُعَاوَنَةٍ بِنَفْسِهِ الأَبِيَّةِ وَجُنُوْدِهِ التُّرْكِيَّةِ، وَفَتْحُ فَاغِرَةِ السُّيُوْفِ لا تَبْتَلِعُ إِلَّا لُقَمَ نُفُوْسِ أَهْلِ الصُّفُوْفِ، وَأَقَامُوْا حَرْباً احْتَرَقَ [احْتَرَقَتْ] بِنَارِهَا جَبْهَةُ النَّثْرَةِ، وَاخْتَفَى [وَاخْتَفَتْ] بِغُبَارِهَا جِهْرَةُ المَجَرَّةِ،[1] حَتَّى خَانَتْ غَانِيَةُ الدَّوْلَةِ سُلْطَانَهَا، وَوَضَعَتْ فِيْ كَفِّ الكَفَرَةِ سَاقَهَا وَبَنَانَهَا؛ فَوَلَّى جُنُوْدُ السُّلْطَانِ أَدْبَارَهُمْ مُنْهَزِمِيْنَ، وَالتَّتَارُ تَكْسَعُ عَلَى أَذْنَابِهِمْ[2] مُغْتَنِمِيْنَ حَتَّى دَخَلُوْا بِلادَ الإِسْلامِ، وَشَنُّوْا عَلَيْهَا ضِرَامَ الانْتِقَامِ؛ وَفَتَحُوْا بُلْدَانَ المِلَّةِ الإِسْلامِيَّةِ، وَأَرَاقُوْا دِمَاءَ أَهْلِيْهَا بِسُيُوْفِ الحَمِيَّةِ؛ وَطَرَدُوْا السُّلْطَانَ فِيْ البُلْدَانِ تَبَلُّدَاً،[3] [7] وَجُنْدُ الكَفَرَةِ يَزْدَادُ مَدَداً فَمَدَداً. فَصَارَ السُّلْطَانُ وَأَهْلُهُ أَثَراً بَعْدَ عَيْنٍ،[4] وَتُلِيَتْ عَلَيْهِم آيَاتُ الفَنَاءِ وَالحَيْنْ.[5]

(1) المجرّة مجموعة النّجوم. (المقوّم اللّغويّ).

(2) كسع فلاناً: ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه. (المقوّم اللّغويّ).

(3) في الأصل: ابلذا! تبلّد والتي تعني حيرّت. تبلدّ: أي تردّد متحيرّاً. (توضيح قياسي).

(4) إشارة إلى مَثَل: لا أطلب أثراً بعد عين.

(5) (الحَيْنُ) بِالْفَتْحِ: الهَلَاكُ. وَقَدْ (حَانَ) الرَّجُلُ أَيْ هَلَكَ. (المقوّم اللّغويّ).

«جُلُوسُ أوكتاي قاآن على سريرِ المُلكِ بعدَ جنكيزَ خان»

ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِجنكيزَ خَانَ أَرْبَعَةُ أَبْنَاءٍ [أوكتاي] قاآنُ، وَطولِي خَانَ، وَجغطاي،[1] و[جوجي أبو] باتو خانَ.[2] فلمّا كانَتْ السُّلْطانِيَّةُ اخْتَرَمَتْ عُرُوقَهُمْ، وَخَمَدَتْ نَارُ دَوْلَتِهِمْ، جَلَسَ قاآنُ على سَرِيرِ المُلْكِ، وَكَانَ بَذُولاً لِلْغَنَائِمِ وَهُوباً لِلرَّغائِبِ، أُشْتُهِرَ فِي الخافِقَيْنِ ذِكْرُ سَخَائِهِ،[3] وَمَلأَ المَشْرِقَيْنِ رَيّا بَهائِهِ وَأَنْدَائِهِ، أَقَلُّ صِلاتِهِ كانَتْ بُلْداناً مَعْمُورَةً وَخَزائِنَ مَوْفُورَةً، وَبِقَلِيلِ تُحْفَةٍ إِلَيْهِ تُنَاوَلُ الوِلاياتُ، وَصَغِيرُ هَدَايَاهُ تُجاوِزُ لِلأَعْمارِ الكِفَاياتُ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ،[4] فَصَيَّرَ[5] سَرِيرَ المُلْكِ وَالخانِيَّةَ خالِيَيْنِ، وَالأُمُورَ مَوْكُولَةً إِلَى النِّسْوانِ وَالصِّبْيانِ وَمَعَ ذلِكَ فَمُلْكُهُمْ كانَ مُطْمَئِنَّ الأَطْرافِ، ساكِنَ النَّواحِي وَالأَرْجاءِ، لِما كانَ باتُو خانَ[6] على مَكانِهِ

---

(1) في الأصل: جخطاس!.

(2) وقد أشرنا إلى ذلك في المقدّمة التي كان فيها جوجي الابن الرّابع لجنكيز خان وحفيده وخليفته في أرض قبجاق است.

(3) اشتهر في المشرق بـ «حاتم آخر الزّمان» انظر: تاريخ المغول لعبّاس إقبال. ص 149.

(4) توفّي أوكتاي قاآن سنة 639.

(5) في الأصل: فعيّر.

(6) في الأصل: باترخاق. في هذه الكلمة خطأ. ويجب أن يكون المعنى باتو خان ابن جوجي والذي أصبح بعد موت أبيه وارثه، والذي حاز على خانات روسيّة وأرض قبجاق التي كان لها أدوار مهمّة في منح منكو خان السّلطنة. ومنكو كان ابن تولوي

بِجُنُوْدِهِ الجَمَّةِ وَأَعْوَانِهِ وَأَخُوْهُ بُرْكَتْ خَانُ كَذَلِكَ كَانَ جَبَّارَاً[1] مَعَ جُنُوْدٍ كَثِيْرَةِ العَدَدِ وَالمَدَدِ، وَكَذَلِكَ جَخْطَايُ.

وَكَانَ بَاتُوْ خَانُ مَعَ كُفْرِهِ قَدْ بَلَغَ فِي العَدْلِ أَقْصَاهُ، وَتَجَاوَزَ فِي الإِنْصَافِ مُنْتَهَاهُ،[2] وَلَمْ يَتَعَرَّضْ مِنْ مُلُوْكِهِمْ أَحَدٌ لِهَدْمِ مَبَانِي الإِسْلَامِ، بَلْ تَرَكُوْهَا عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ النِّظَامِ، وَأَمَرُوْا بِتَرْبِيَةِ العُلَمَاءِ الإسلامية[3] وَتَقْوِيَتِهِمْ وَتَوْفِيْرِ الوَظَائِفِ وَالمَرْسُوْمَاتِ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ، وَأَمَرُوْا بِرَدِّ الحُكُوْمَاتِ إِلَى قُضَاةِ الإِسْلَامِ فِيْ القَضَايَا الشَّرْعِيَّةِ إِلَى الأَئِمَّةِ وَالحُكَّامِ، وَاحْتَرَمُوْهُمْ، وَوَقَّرُوْهُمْ حَقَّ التَّوْقِيْرِ، وَلَمْ يُؤْذُوْهُمْ بِنَقِيْرٍ.[4]

وأخ قوبيلاي وهولاكو- وجاء بعد سطرين من «باتو خان».

(1) في الأصل: حيار.

(2) في الأصل: منهاه.

(3) في الأصل: العلاء الملامية!. إضافة المقوّم اللّغويّ: والذي يقتضيه السّياق قبلها وبعدها أن تكون (الإسلاميّين).

(4) النّقير هو النّقرة (النكتة) التي تكون في ظهر نواة التّمر- والقصد هنا عدم ظلمهم مهما قلّ؛ ولو كان بمقدار نقير؛ إلّا أنّ الأفصح أن يقول: (شرو نقير) أو (نقيراً) من غير باء. (المقوّم اللّغويّ).

«سَلْطَنَةُ كُيوك خَانَ»

ثُمَّ جلَسَ عَلَى سَرِيْرِ قَاآنَ ابْنُهُ كُيُوْكُ خَانُ، وَكَانَ قَصِيْرَ العُمُرِ، قَلِيْلَ العَيْشِ وَالأَمْرِ، وَاهْتَاجَ بَيْنَ الأَوْلَادِ الجَنْقَزْخَانِيَّةِ أَجَلٌ[1] وَشُرُوْرٌ فِيْ طَلَبِ السَّرِيْرِ وَ[8] سِيَاسَةِ الجُمْهُوْرِ؛ وَكَانَ جَخْطَايُ أَيْضاً قَدْ مَاتَ، وَبَقِيَتْ أَبْنَاؤُهُ مِنْ جُمْلَةِ طُلاَّبِ المُلْكِ حَتَّى إِنَّ كَثِيْراً مِنْ كِبَارِهِمْ وَخِيَارِهِمْ اِشْتَغَلُوْا بِالكِنْكَاشِ، فَاتَّحَدَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى أَنْ يَكُوْنَ صَاحِبُ السَّرِيْرِ مَنْ اسْتَأْهَلَهُ بَاتُو خَانُ؛ وَتَوَّجَهُ وَسَوَّدَهُ هُوَ؛ لِمَا كَانَ أَكْبَرَهُمْ سِنّاً وَأَكْثَرَهُمْ جُنْداً وَأَثْرَاهُمْ وَفْرَاً.

---

(1) أَجَلَ عليهم شرّاً يأجله و يأجله أجلا: جناه و هيّجه.

«اخْتِلَافُ المغُولِ عَلَى السُّلطَةِ وَجُلُوسُ مَنْكُوخَانَ»

وَكَانَ بَقِيَ مِنْ أَوْلَادِ طُوْلِيٍّ خَانَ: مُنْكَاخَانُ، وَهُوْلَاكُوْخَانُ، وَقُبْلَهُ،[1] وَبُوْجِي،[2] وَكَانَ بَاتُوْخَانُ بَعِيْدَ الأُرْدُوِّ مِنْهُمْ - وَالأُرْدُوُّ عِنْدَهُمْ المُعَسْكَرُ وَالمَنْزِلُ - فَأَمَرَ القَوْمَ - مِنْ جُمْلَتِهِمْ مَنْكَاخَانُ - بِأَنْ يَذْهَبَ إِلَى أَرْدُوِّ بَاتُوْخَانَ مَعَ فِرِيْيَانَ[؟] فِيْهِ صُوَرٌ وَأَشْكَالٌ وَتَخَاطِيْطُ لِمَنْ لَهُمْ اسْتِعْدَادُ السَّرِيْرِ وَصَلَاحُ القَاآنِيَّةِ وَضَبْطُ المُلْكِ.

فَذَهَبَ إِلَى حَضْرَةِ بَاتُوْخَانَ وَأَقَامَ عِنْدَهُ بُرْهَةً مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى اطَّلَعَ بَاتُوْ عَلَى حَالِهِ جُمْلَةً وَتَفْصِيْلاً مِنْ حِدَّةِ ذِهْنِهِ وَحَصَافَةِ عَقْلِهِ، وَثَبَاتِهِ عِنْدَ المُهَيِّجَاتِ، وَاطْمِيْنَانِهِ عِنْدَ نُزُوْلِ إِحْدَى المُقْلِقَاتِ؛ وَفَرْطِ بَصِيْرَةِ رَأْيِهِ وَدَهَائِهِ، وَتفَرَّسَ فِيْهِ الارْتِقَاءَ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ مِنْ عَلَائِهِ.

فَأَمَرَهُ بِتَقَلُّدِ أَمْرِ المُلْكِ وَالجُلُوْسِ عَلَى سَرِيْرِ القَاآنِيَّةِ وَالتَّصَدِّيْ لِتَرْتِيْبِ أَحْوَالِ الدَّهْمَاءِ[3] وَضَبْطِ مَصَالِحِ المَمْلَكَةِ مِنْ اسْتِجْلَابِ التَّوْفِيْرَاتِ وَإِزَالَةِ الغَمَّاءِ. فَلَوَى عَنْ إِشَارَتِهِ رَأْسَهُ وَأَبَى إِلَّا أَنْ يَتْرُكَ ذَلِكَ الأَمْرَ وَمِرَاسَهُ، فَاسْتَأْذَنَ الخَانَ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ، حَتَّى اتَّفَقَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ بَرَزَ بَاتُوْخَانُ إِلَى

(1) كذا- على القاعده وفي الحقيقة يجب أن يكون المقصود قوبيلاي الذي أرسله منكوقاآن إلى فتح جنوب الصّين.

(2) في تاريخ ألفي (3839/6) يعدّ بوجك أحد أولاد تولوي.

(3) الدّهماء: عامّة النّاس وسوادهم. (المقوّم اللّغويّ).

الخلاءِ، إذْ وَافاهُ مُنكاخانْ مِن فورِه، فأمَرَهُ الخانْ بلزُومِ مكانِهِ حتّى يخرُجَ، فمكثَ حتّى برزَ، فإذا وَصَلَ إليْهِ قعَدَ لهُ في شُوكِهِ - وَالشُّوكْ مُعرَّبُ جُوكْ[1] - وكانَ ذلِكَ الفِعْلُ مِنهُمْ أعْلى أنواعِ الاحْتِرامِ وَالاحْتِشام [9] وَكانَ صِفةُ ذلِكَ أنْ يَضعَ إحْدى رُكبَتيْهِ إلى القدمِ مُنبسِطاً على الأرْضِ رَافِعاً الأُخرَى، وَاضِعاً يدَيْهِ معاً على رُكبتِهِ المرْفوْعَةِ.

وَقالَ لهُ: بُورِكْتَ في صَيْرُوْرَتِكَ مَالِكَ السَّريْرِ وَسَائِسَ الأُمُوْرِ للْجُمْهُوْرِ، وَهُوَ يأْبى ذلِكَ وَيقُوْلُ لهُ: إنّكَ وَإنْ سَوَّدتَني وَملَّكتَني وَعظَّمْتَ شأْنِي وَرفَعْتَ مَكانِي، غيْرَ أنَّ طُلاّبَ هَذا السَّريْرِ وَخُطّابَ هَذا المُلْكِ كثيْرُوْنَ، وَكُلُّهُمْ أبْسطُ مِنِّيْ باعاً، وَأكثَرُهُمْ أعْواناً وَأشْياعاً - وَكانَ هُوَ نَزْرَ المالِ، قليْلَ المنالِ، هيِّنَ الأمْرِ - وَإنِّي سَأصِيرُ بِالتَّعرُّضِ لِلمُلْكِ، طُعْمَةً لِلتّوى وَالهلكِ، وَهَدَفاً لِسِهامِ الخِصامِ، وَدَرِيئَةً لِرِماحِ الانْتِقامِ. وَالخانُ يأْبى إلّا تقليْدَهُ ذلِكَ الأمْرَ، وَزَيَّنَ لهُ في ذلِكَ الأمْرِ الصَّبْرَ.

فلمّا رَأى أنْ لا مَحِيصَ عَنْ ذلِكَ الأمْرِ قالَ لهُ: أقبلُ على أنْ تُعاهِدَنِي وَتُعاقِدَنِي على تَرْكِ الاعْتِراضِ على ما أمَرْتُ بِهِ مِنَ المَصالِحِ.

فأعطاهُ مُناهُ، وَوَهَبَ لهُ سُؤْلَهُ وَما يهْواهُ، وَألْبسَهُ مِنْ خِلعِ المُلُوْكِ ما كانَ أعلاهُ وَأسْناهُ.

---

(1) وقُدّر كثيراً دور زانو خم عند المغول. وقد شرح ذلك القزويني في مقدّمة المجلّد الأوّل من جهانكشاي، ص مح، حاشية 2. وحول الصدام بين جوك مع باتو خان انظر: تاريخ جهانكشاي، ج 3، ص 21.

«مُنَازَعَةُ مُنْكُوخَانَ مَعَ المُعَارِضِيْنَ لِسَلْطَنَتِه»

وَبَلَغَ ذَلِكَ مِنْ احْتِبَائِهِ[1] بِسَرِيْرِ المُلْكِ الذِيْنَ كَانُوْا يَنْتَظِرُوْنَ أَنْ يَكُوْنَ الأَمْرُ لَهُمْ، فَتَنَكَّرُوْا وَتَغَيَّرُوْا وَأَخَذُوْا يُعِدُّوْنَ مَكَائِدَهُمْ لِدَفْعِهِ، وَيَنْصِبُوْنَ حَبَائِلَهُمْ لِمَنْعِهِ، وَهُوَ قَدْ أَحَسَّ بِذَلِكَ، وَكَانَتْ بَعْضُ زَوْجَاتِ جَنْكِيزَ خَانَ فِي الحِيْرَةِ مُتَعَزِّزَةً بِأَوْلَادِهَا وَأَقْرِبَائِهَا، وَهُمْ جَمٌّ غَفِيْرٌ لَا يُجْتَرَأُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُطَاقُ إِيْصَالُ الشَّرِّ إِلَيْهِمْ؛ ذَوُوْ مَنَعَةٍ وَغَنَاءٍ وَشَجَاعَةٍ وَبَلَاءٍ؛ يُهَابُ جَانِبُهُمْ، وَيُرْهَبُ شَذَاهُمْ؛[2] وَكَانُوْا رَاضِيْنَ بِكَوْنِهِ صَاحِبَ السَّرِيْرِ وَحَامِيَ الحَوْزَةِ وَرَاعِيَ المَمْلَكَةِ، فَصَارَ إِلَيْهِمْ، وَنَزَلَ لَدَيْهِمْ وَاسْتَعَانَ بِهِمْ وَاتَّخَذَهُمْ [10] جُنَّةَ الدِّفَاعِ وَسُتْرَةَ الامْتِنَاعِ؛ وَأَرْسَلَ إِلَى مَنْ كَادَ تَطِيْرُ نُعَرُ[3] الامْتِنَاعِ فِي دِمَاغِهِ،[4] وَدَبَّتْ وَسَاوِسُ التَّمَرُّدِ فِي صَدْرِهِ، مَنْ يَدْعُوْهُمْ إِلَيْهِ.

وَكَانَ أَشَدَّهُمْ بَطْشاً وَبَأْساً وَأَعَزَّهُمْ جُنْداً وَأُنَاساً سِيْرَمُوْنُ[5] وَكَانُوْا

(1) في الأصل: احتطائه.

إذا ما احتبى فوق الأسرّة وارتدى *** على كبرياء الملك نخوة سلطان

(2) من المحتمل: شدّتهم.

(3) رجل نغر، الذي يغلي جوفه من الغيظ.

(4) في الأصل: دماعه.

(5) جاء في أكثر من مطلب في هذا الكتاب «سيرمُوْن». ودرجت المصادر على إيراده «سيرامون» و«شيرامون» وهو كان من أحفاد أوكتاي والذي بعد موت أبيه اختاره

إِخْوَةً هُوَ وَخَوَاجه أُغُل، وَنَاغو،[1] وَكَانُوْا أَحْفَادَ [أوكتايَ] قاآن، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ أَمْرُهُ، تَمَرَّدُوْا وَتَنكَّرُوْا وَاسْتَخَفُّوْا بِشَأْنِهِ وَقَالُوْا: مَا هُوَ وَالْمُلْكُ؟ وَمِنْ أَيْنَ يَسْتَحِقُّهُ؟.

وَرَكِبَ سِيْرُمُوِّ [نُ] فِيْ جُنْدٍ جَرَّارٍ يَأْتِيْهِ، وَغِرُ[2] الصَّدْرِ مَمْلُوْءٌ مِنَ الغَيْظِ وَالغَضَبِ عَلَيْهِ؛ وَكَانَ فَتِيَّ السِّنِّ، رَيِّقَ الشَّبَابِ، مَغْرُوْراً بِشَبَابِهِ وَأَصْحَابِهِ فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ مُنْكَاخَانُ حَتَّى هَابَ جَانِبَهُ وَأَشْفَقَ مِنْهُ وَكَانَ بَعْضُ مُقَرَّبِيْهِ قَالَ لَهُ: لَا تَهَبْهُ، فَإِنِّيْ كافِيْكَهُ بِأَهْوَنِ سَعْيٍ وَدَافِعُهُ بِأَسْهَلِ أَمْرٍ، هَيِّءْ لِيَ مِائَةً مِنْ أَهْلِ الغَنَاءِ وَالفُرْسَانِ البَاسِلِيْنَ حَتَّى آتِيَكَ بِهِ مَغْلُولاً مَأْسُوْراً.

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ سكَنَ جَأْشُهُ وَزَالَ اسْتِيْحَاشُهُ، وَهَيَّأَ لَهُ الفُرْسَانَ الشَّاكِيْ السِّلَاحِ، وَخَرَجُوْا وَلَمْ يُعْلِمْ بِأَمْرِهِمْ.

وَكَانَ سِيْرُمُوِّنُ يَأْتِيْ مُنْتَجِعاً مُتَصَيِّداً، لَا يُبَالِيْ بِأَحَدٍ، وَلا يَتَحَذَّرُ لِشَيْءٍ، حَتَّى كَانَ يَضْرِبُ بِخُرْگاهاتِهِ عَلَى أَطْرَافِ العَسْكَرِ وَنَوَاحِيْهِ.

وَكَانَ صَاحِبُ الفُرْسَانِ المِائَةِ يَعْلَمُ مِنْهُ أَمْرَهُ وَيَعْرِفُ شَأْنَهُ وَسِيْرَتَهُ، فَأَتَاهُ فَجْأَةً وَهُوَ فِيْ خُرْگاهِهِ، رَخِيَّ البَالِ مَعَ شِرْذِمَةٍ قَلِيْلِيْنَ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ بِأَصْحَابِهِ المِائَةِ وَقَالَ: أَجِبْ مُنْكَاخَانَ فَإِنَّهُ يَدْعُوْكَ، فَامْتَنَعَ عَلَيْهِ وَاسْتَعْصَى، فَأَطَالُوْا إِلَيْهِ اليَدَ كَالبَاشِقِ المُنْقَضِّ عَلَى صَيْدِهِ، وَقَبَضُوْهُ وَوَضَعُوْا عَلَيْهِ قَيْدَ الإِسَارِ وَسَاقُوْا بِدَوَابِّهِمْ سَوْقاً [11] عَنِيْفاً أَبْعَدُوْهُ عَنْ

أوكتاي لولاية العهد.

(1) في جهانكشاي، ج 3، ص 27 «أبناؤه خواجه وناقو» لكن لم تأت كلمة «اغل».

(2) الوغر: شدّة تسعّر الحقد في الصّدر.

مَنْزِلِهِ بِمَنَازِلَ، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ جُنْدُهُ وَجِيلُهُ، تَصَعَّبَتْ إِلَيْهِ سَبِيلُهُ وَضَاقَ عَلَيْهِ نِطَاقُ التَّلاقِي؛ وَالقَوْمُ أَتَوْا بِهِ مُنْكاخَانَ صَيْداً مُقَيَّداً وَأَسَداً مُعَبَّداً.

ثُمَّ بَعْدُ، أَخَذَ يُرْسِلُ جِيْلاً بَعْدَ جِيْلٍ،[1] يَقْبِضُ عَلَى كِبَارِ جُنْدِ سِيرْمُوْنَ وَسُرَاتِهِ وَذَوَائِبِهِ[2] وَوُجُوْهِهِ وَإِخْوَتِهِ وَجَمِيعِ مَنْ تَقَرَّبَ بِهِ، إِلَى أَنْ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا عَجَزَةٌ ضَعَفَةٌ لا دِفَاعَ لَهُمْ وَلَا امْتِنَاعَ. فَاسْتَصْلَحَ بِذَلِكَ حَالَهُ وَرَيَّشَ بِالمُلْكِ وَالحُكْمِ نِبَالَهُ؛ وَتَمَّ أَمْرُهُ وَعَظُمَ شَأْنُهُ، وَعَلاَ مَكَانُهُ؛ وَأَصْحَرَتْ قِبَابُهُ،[3] وَاسْتَظْهَرَتْ جُنُوْدُهُ وَأَصْحَابُهُ؛ حَتَّى أَقَامَ يَرْغُوَ المَأْخُوْذِيْنَ، وَاليَرْغُوُ هُوَ القَضَاءُ وَالحُكُوْمَةُ عِنْدَهُمْ.

وَسَأَلَ سِيرْمُوْنَ عَنْ تَمَرُّدِهِ وَاسْتِعْصَائِهِ. فَقَالَ: كُنْتُ أَمْتَثِلُ لِأَمْرِكَ وَأَنْقَادُ لَكَ، غَيْرَ أَنَّ الجُنْدَ مَنَعَنِي مِنْ ذَلِكَ، وَأَنَا كَمَا تَرَى جَدِيْدُ سِرْبَالِ الحَدَاثَةِ، اِغْتَرَرْتُ بِهِمْ، وَإِلَّا فَأَنَا بَرِيءُ السَّاحَةِ عَنْ عِصْيَانِكَ.

فَلَمَّا سَمِعَ مِنْهُ كَلامَهُ، قَالَ: لاشَكَّ أَنَّ هَذَا حَدَثٌ مَأْمُوْرٌ،[4] فَأَخَّرَ أَمْرَهُ، وَأَمَرَ بِحِفْظِهِ فِي القَدِّ.

وَسَأَلَ أَخَاهُ خَواجه أُغُلَ عَنْ عِصْيَانِهِ وَطُغْيَانِهِ وَتَأَخُّرِهِ وَتَرْكِ طَاعَتِهِ وَالاسْتِخْفَافِ بِيَاسَاتِهِ، فَتَعَلَّقَ مِنَ الأَعْذَارِ بِمِثْلِ مَا تَعَلَّقَ بِهِ أَخُوْهُ مِنْ كَوْنِهِ مَحْمُوْلاً مَأْمُوْراً حَتَّى قَالَ أَحَدُ مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمِ الخَانُ: إِنَّهُ كَانَ

(1) الجيل: كلّ صنف من النّاس. (المقوّم اللّغويّ).

(2) فلان ذؤابة قومه: شريفهم والمقدّم فيهم. (المقوّم اللّغويّ).

(3) أصحر المكان: اتّسع. (المقوّم اللّغويّ).

(4) ـ كذا ـ.

مُتَمَرِّداً عَاصِياً خَارِجاً عَلَيْكَ، طَارِحاً لِأَمْرِكَ؛ غَيْرَ أَنَّ خَاتُوْنَةَ فُلاَنَةَ مَنَعَتْهُ عَنْ ذَلِكَ، وَأَمْسَكَتْهُ بَعْضَ الإِمْسَاكِ.

فتلَيَّنَ أَمْرُهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَوَهَبَهُ لِخَاتُوْنَةَ، وَخَلَّى سَبِيْلَهُ عَلَى أَنْ يَكُوْنَ مُشْتَغِلاً بِشَأْنِهِ غَيْرَ مُتَجَاوِزٍ عَنْ حَدِّهِ. [12]

وَأَمَرَ بِقَتْلِ مَنْ كَانَ مَادَّةً لِلْفِتْنَةِ، وَمُهَيِّجاً لِلشُّرُوْرِ وَذَوِي العَيْثِ الفَتَّانِيْنَ،[1] حَتَّى أَكْثَرَ مِنْ قَتْلِهِمْ، وَلَمْ يُبْقِ إِلاَّ قَلِيْلاً مِنْ نَسْلِهِمْ؛ إِلَى أَنْ حَمَلَهُ الفِكْرُ فِي العَوَاقِبِ وَالنَّظَرُ فِي مَصَائِرِ الأُمُوْرِ عَلَى قَتْلِ سِيْرَمُوْنَ، وَأَخِيْهِ خواجه أغلُ، فَاسْتَقَرَّ إِلَيْهِ المُلْكُ وَاسْتَتَبَّ الأَمْرُ وَأَذْعَنَ لَهُ المُتَمَرِّدُوْنَ، وَانْقَادَ لَهُ الغَاغَةُ المُسْتَعْصُوْنَ؛ وَلَا يَزَالُ كَانَ يَقْتُلُ مَنْ كَانَ يَظُنُّ بِهِ شَرّاً، وَيُحِسُّ مِنْهُ ضُرّاً؛ حَتَّى اخْتَرَمَ نَوَاجِمَ الفِتَنِ،[2] وَاسْتَأْصَلَ عُرُوْقَ المَضَارِّ وَالمِحَنِ.

ثُمَّ إِنَّهُ لَـمَّا تَهَيَّأَتْ لَهُ أَسْبَابُ المَمْلَكَةِ وَوَصَلَ إِلَى الصَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ شَأْنُهُ، وَاسْتَمَرَّ مَرَائِرُ تَمَكُّنِهِ وَاسْتِيْلائِهِ، وَمَطَرَتْ عَلَيْهِ مِنْ إِقْبَالِ الدَّهْرِ شَآبِيْبُ أَنْوَائِهِ،[3] شَاوَرَ بَعْضَ مُقَرَّبِيْهِ وَأُمَنَائِهِ فِي كَيْفِيَّةِ ضَبْطِ الأُمُوْرِ وَتَوْظِيْفِ المُعَامَلاَتِ وَتَوْفِيْرِ الوَلَايَاتِ.

---

(1) العيث في الأرض: الإفساد والإتلاف. (المقوّم اللّغويّ).

(2) الاختِرام: الشّقّ. اخترم نواجم الفتن: شقّ مطالعها وقضى على مصادرها. (المقوّم اللّغويّ).

(3) الشُّؤبوبُ الدَّفعة من المطر. والشّدّة من كلّ شيء. (المقوّم اللّغويّ).

«هُجُوْمُ هُوْلاَكُو عَلَى بِلاَدِ إِيْرَانَ وَقِلاَعِ الإِسْمَاعِيْلِيَّةِ»

وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنَّ مَنْ جَلَسَ عَلَى سَرِيْرِ القَاآنِيَّةِ رَكِبَ بِنَفْسِهِ مَعَ الجَيْشِ إِلَى بَعْضِ بُلْدَانِ الأَعَادِيْ، وَاسْتِخْلاَصِهَا[1] وَافْتِتَاحِهَا، فَكَانَ يَتَهَيَّأُ لِلرُّكُوْبِ إِلَى ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ المُقَرَّبُ - وَكَانَ دَاهِيَاً -: إِنَّكُمْ لأَرْبَعَةُ إِخْوَةٍ، فَلْيَتَوَجَّهْ أَحَدُ إِخْوَتُكَ بِجُنُوْدِهِ إِلَى جَانِبٍ شَاهِرَاً سَيْفَهُ، مُسْتَخْلِصَاً لِلبِلاَدِ، وَمُسْتَأْصِلاً عُرُوْقَ ذَوِيْ العَيْثِ وَالفَسَادِ؛ وَاطْمَئِنَّ أَنْتَ عَلَى سَرِيْرِ المُلْكِ رَفِيْهَ الحَالِ، خَلِيَّ البَالِ؛ فَارِغَ القَلْبِ، سَاكِنَ الصَّدْرِ وَالجَانِبِ.

فَاسْتَجَادَ مَا أَشَارَ بِهِ الرَّجُلُ، وَطَابَ عِنْدَهُ ذَلِكَ الكَلاَمُ المُرْتَجَلُ؛ فَبَعَثَ أَحَدَ أُمَرَائِهِ مُقَدَّمَةً لِجَيْشِ أَخَوَيْنِ إِلَى جَانِبِ المَغْرِبِ، اسْمُ ذَلِكَ الأَمِيْرِ كتُ بوقاء،[2] وَكَانَ ذَا رَأْيٍ [13] وَدَهَاءٍ، أَمَرَهُ بِلُزُوْمِ قِلاَعِ الإِسْمَاعِيْلِيَّةِ وَافْتِتَاحِهَا وَقَلْعِ أُرُوْمَتِهَا[3] وَاسْتِيْصَالِهَا. حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى مَوَاضِعِ قِلاَعِهِمْ اسْتَحْشَدَ وَاسْتَجَاشَ[4] عَنْ البِلاَدِ، حَتَّى جَمَعَ أَجْنَادَاً كَثِيْرِيْنَ،

---

(1) في الأصل: واستخلاصها.

(2) كان كتبوقا ييشقر أوّل قادة هولاكو والذي بدأ بشنّ الحملة على قلاع الإسماعيليّة في جنوب خراسان. وقد فصّلنا ذلك في المقدّمة.

(3) أرومة كلّ شيء أصله, وأرومة الشّجرة ما بقي منها بعد قطعها. (المقوّم اللّغويّ).

(4) استجاش: بمعنى طلب الجُند.

وَأَمَرَ حَوْلَ كُلِّ قَلْعَةٍ بِحِصَارٍ وَخَنْدَقٍ، وَبَنَى البُيُوْتَ[1] مُتَّصِلَةً بِالحِصَارِ، وَوَكَّلَ عَلَيْهَا مِنَ الجُنْدِ بِقَدْرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ذَلِكَ المَكَانُ لِلاسْتِدْفَاعِ، وَكَذَا صَنَعَ هَذَا الصَّنِيْعَ بِجَمِيْعِ قِلاَعِهِمْ مِنْ أَقْصَى خُرَاسَانَ إِلَى آخِرِ مَازَنْدِرَانَ، وَجَعْجَعَ بِتِلْكَ المَلاَحِدَةِ الغَادِرِيْنَ حَتَّى افْتَتَحَ جَمِيْعَ القِلاَعِ وَالصَّيَاصِيْ[2] إِلاَّ جِرْدَكُوْه، وَأَلْتُوْنَ، وَالقَائِنَ، وَأَلْمُوْتَ، لَكِنْ لَمْ يُخْلِهَا عَنْ المُحَاصَرَةِ وَالمُحَارَبَةِ وَالضَّرْبِ بِالمَجَانِيْقِ وَالرَّمْيِ بِالنِّيْرَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.[3]

ثُمَّ أَمَرَ مَنْكَاخَانُ أَخَاهُ هُوْلاكُوخَانَ بِالرُّكُوْبِ إِلَى جَانِبِ المَغْرِبِ فِيْ جُيُوْشٍ لَا يُحْصِيْهَا إِلَّا مَنْ أَحْصَى رَمْلَ عَالِجٍ،[4] حَتَّى إِذَا بَلَغَ خُرَاسَانَ مَرَّ بِأَلْتُوْنِ وَقَائِنَ فَافْتَتَحَهَا بِزَحْفَةٍ مِنْ جُنْدِهِ إِلَيْهَا، وَخَرَّبَهَا وَسَبَى مِنْهَا عَقَائِلَ

---

(1) في الأصل: البيوق. وانظر حول كيفيّة إجراءات حفر الخندق على أطراف القلاع وبناء الحصون والتّحصّن داخل القلعة لجيوش هموار: جامع التّواريخ (تاريخ مغول)، ج 2، ص 690.

(2) الصّياصي: الحصون والقصور. وأصل الصّياصي قرون البقر، لأنّها تمتنع بها كالقصور التي يمتنع بها أصحابها. (المقوّم اللّغويّ).

(3) جاء في تاريخ طبرستان ورويان و مازندران ص 32 ـ 33: ولم يمض من أيّام حكومة استندار المذكور خمس عشرة سنة حتّى استقرّت الملكيّة من «چنگيز خانيان» إلى «منكوقاآن» وانقادت إمارات الشّرق والغرب إلى أوامره وأرسل «كت بوقانين» إلى خراسان من أجل الاستحواذ على قلاع الملاحدة، وهذا «كت بوقا» كان صاحب رأي وتدبير، فعندما كان يحاصر كلّ قلعة يقوم بحفر خندق وجحفلة الجيوش وتأمين المؤن للجيش ويضيّق الخناق على خصومه، وبهذه الطّريقة تدرجيّاً فتح كلّ قلاع الملاحدة سوى قلاع گردكوه وألتون وقائن وألموت الذي بقي عليها الحصار.

(4) رمل عالج: جبال متواصلة يتّصل أعلاها بالدّهناء. والدّهناء بقرب يمامة، وأسفلها بنجد. (المقوّم اللّغويّ).

وَبُدْناً[1] وَأَمْوَالاً وَافِرَةً، وَغَنَائِمَ، حَتَّى مَلأَ خُرَاسَانَ بِسِبْيِ المَلاَحِدَةِ وَبَرَادِجِهَا.[2]

ثُمَّ مَضَى مِنْهَا حَتَّى بَلَغَ جِردكُوه وَرَأَى مَنَعَتَهَا وَحَصَانَتَهَا، وَأَنَّ أَصْلَهَا ثَابِتٌ وَفَرْعَهَا فِي السَّمَاءِ، وَأَنَّ بِالزَّحْفَاتِ لَا تُسْتَخْلَصُ وَلَا تَنْفَتِحُ، خَلَّى عَنْهَا بِجَيْشِهِ وَأَمَرَ بِمُحَاصَرَتِهَا عَلَى مَا كَانَتْ تُحَاصَرُ، وَمَضَى بِقَلْعَةِ أَلْمُوْتَ،[3] وَنَزَلَ فِي حَضِيْضِهَا بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ، قَضَّاً بِقَضِيْضِهَا.[4]

(1) العقائل: كلّ ما يعتقل من الدّوابّ ويربط بعقال. والبدن: إناث الجمال. (المقوّم اللّغويّ).

(2) برادج تعريب كلمة «بردة» الفارسيّة، وهنا بمعنى الأسير.

(3) الصّحيح أن يقول: ومضى إلى قلعة ألموت (المقوّم اللّغويّ).

(4) جاؤوا بقضّهم وقضيضهم: جاؤوا جميعاً بكبارهم وصغارهم.

«خُوْرشَاه الإِسمَاعِيلِي، نَصِيْرُ الدِّيْنِ الطُّوْسِيُّ وَالمَغُوْل»

وَكَانَ الـمَالِكُ لِأَمْرِ المَلاَحِدَةِ إِذْ ذَاكَ أَحَدَ الإِسْمَاعِيلِيَّةِ الكَيا مُحَمَّدَ بن الحَسَنِ الذِيْ كَانُوْا يُسَمُّوْنَهُ القَائِمَ بِأَمْرِ اللهِ [14] وَكَانَ عَلَى مَا سَمِعْنَا قَدْ قَتَلَهُ أَحَدُ بَنِيْهِ عَمَّا قَرِيْبٍ، وَجَلَسَ مَكَانَهُ ابْنُهُ خُورْشَاهُ.

وَكَانَ وَزِيْرُهُ نَصِيْرُ الدِّيْنِ الطُّوْسِيُّ، نِحْرِيْرَ الدُّهُوْرِ[1] وَنَادِرَةَ العُصُوْرِ؛ فَتَشَاوَرَ خُورْشَاهُ وَنَصِيْرُ الدِّيْنِ، وَكَانَ خُورْشَاهُ شَابّاً لَمْ يَضْرِسْ[2] الأُمُوْرَ وَلَمْ يَعْهَدْ المِحَنَ وَالشُّرُوْرَ، وَ[كَانَ] نَصِيْرُ الدِّيْنِ شَيْخاً أَكَلَ الدُّهُوْرَ، وَكَانَ مَحْبُوْساً مِنْ جِهَتِهِمْ منذ سِنِيْنَ[3] فِي أَلْمُوْتَ، حَتَّى قِيْلَ إِنَّ قَلْبَهُ كَانَ مَايِلاً إِلَى إِفْسَادِ أَمْرِهِمْ وَنَكْثِ شُرُوْرِهِمْ.

فَلَمَّا[4] رَأَى هُولاكُو قَدْ احْتَفَّ بِهَا، قَالَ لِخُورَشَاه مِنْ طَرِيْقِ عِلْمِ النُّجُوْمِ فِيْ الظَّاهِرِ: إِنَّ صَلاَحَكَ وَصَلاَحَ أَهْلِكَ وَبِلاَدِكَ النُّزُوْلُ عَنْ هَذِهِ

---

(1) النّحرير: الحاذق الفطن العاقل. (المقوّم اللّغويّ).

(2) يحتمل: يمرّس. إضافة: بل الّلفظ صحيح وفي محلّه. ومعناه: لم يجرّب الأمور. جاء في لسان العرب: ضَرَسَهم الزّمانُ اشتدّ عليهم، وأَضْرَسَه أمر كذا أقلقه، وضَرَّسَتْه الحُروبُ تَضريساً أي جَرَّبَتْه وأحكمته، والرّجلُ مُضَرَّس أي قد جَرَّبَ الأُمورَ، وضارَسْتُ الأُمورَ جَرَّبْتُها وعَرَفْتُها. (المقوّم اللّغويّ).

(3) الصّحيح أن يقول: منذ سنين. لأنّ «مذ» تسبق الفعل لا الاسم أمّا «منذ» فتسبق الاسم. (المقوّم اللّغويّ).

(4) في الأصل: فإذا.

القِلاَعِ، وَالهُبُوْطُ عَنْ هَذِهِ التِّلاَعِ، فَإِنَّا لَا يَدَ لَنَا مَعَ هَؤُلَاءِ فِيْ الامْتِنَاعِ وَالدِّفَاعِ.

فَقَاوَمُوْا يَوْماً وَاحِداً زَحْفَةَ الجَيْشِ إِلَى القَلْعَةِ، ثُمَّ أَرْسَلُوْا إِلَى هُولاكُو غَداً بِالنُّزُوْلِ عَلَى حُكْمِهِ وَالامْتِثَالِ لِأَمْرِهِ، فَنَزَلُوْا؛ وَمَا عَقَدَهُ الآبَاءُ الحُكَماءُ فِيْ سِنِيْنَ قَدْ حَلُّوْا، وَعَنْ مَرْكِبِ المُلْكِ وَالعِزَّةِ قَدْ ارْتَحَلُوْا، وَإِنْ كَانُوْا ظَانِّيْنَ أَنَّ [بَعْدَ] عَزْلِ العَهْدِ[1] وَالحَلْفِ مَعَ هَؤُلَاءِ الأَمْغِلَةِ[2] قَدْ قَتَلُوْا.

فَلَمَّا هَبَطُوا ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ وَأَرْسَلَ إِلَى مُنْكاخَانَ خُورْشَاهُ، ثُمَّ فِيْ طَرِيْقِهِ قُتِلَ،[3] ثُمَّ قَبَضُوْا عَلَى حَرَمِهِ وَحُرُمِهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَحْفَادِهِ، وَأَمْوَالِهِ وَغَنَائِمِهِ المَذْخُوْرَةِ عَلَى أَيْدِيْ الكَسَّابِيْنَ مُذْ سِنِيْنَ،[4] وَقَتَلُوْا [عَنْ] آخِرِهِمْ قِتْلَةً سَيِّئَةً. وَأَمَرَ هُولاكُو شُبَّانَ جُنْدِهِ بِمُوَاقَعَةِ بَنَاتِ الكياءِ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ [وَ] جَوارِيْهِ عَلَى المَلأَ الحَاضِرِيْنَ، وَكَانَ أَحَدُ بَنِيْهِ حَاضِراً، وَكَانَ إِذَا أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ عَنْ مُشَاهَدَةِ تِلْكَ الحَالَةِ المُسْتَشْنَعَةِ وَالحَادِثَةِ المُسْتَفْظَعَةِ أَمَرَ بِلَكْزِهِ فِيْ قَفَائِهِ[5] لِيَتَوَجَّهَ إِلَى صَوْبِ تِلْكَ الفَعْلَةِ [15] وَيُشاهِدَهَا وَيَنْظُرَ إِلَيْهَا.

(1) يحتمل بهذا الشّكل: وإن كانوا ظانّين أنّ [بعد] عقد العهد.

(2) المَغَل وجع البطن من تراب. (المقوّم اللّغويّ).

(3) في الأصل: قتلوا.

(4) الصّحيح أن يقول: منذ سنين. لأنّ «مذ» تسبق الفعل لا الاسم أمّا «منذ» فتسبق الاسم. (المقوّم اللّغويّ).

(5) الضّربُ بالأيدي. إضافة المقوّم اللّغويّ: (اللّكز: نوع من أنواع الضّرب وهو الضّرب باليد الواحدة مجموعة الأصابع على الحنك؛ والنّحز: النّخس والضّرب بها من أعلى؛ واللّقز: الضّرب بها مجموعة الأصابع على العنق، والوكز: الضّرب بها مجموعة الأصابع على الصّدر، والقحز: الضّرب بالعصا، واللّبز: الضّرب باليد

وَنعُوْذُ بِاللهِ مِنْ سُوْءِ العَاقِبَةِ وَخذْلَانِ الخَاتِمَةِ. وَأَمَرَ بِتَخْرِيْبِ أَلمُوْت وَهَدْمِهَا.

وَاسْتَخْلَصَ الإِمَامُ نَصِيْرُ الدِّيْنِ لِنَفْسِهِ بِوُفُوْرِ عِلْمِهِ وَلَاسِيَّمَا فِيْ عِلْمِ الحِكْمَةِ وَهَيْئَةِ النُّجُوْمِ وَالحَقَائِقِ الأُقْلِيْدِيْسِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ العُلُوْمِ.

وَهُولاكُو هَذَا كَانَ رَجُلاً عَظِيْمَ البَطْشِ، عَضُوْبَ النَّفْسِ،[1] سَرِيْعَ القَتْلِ، ذَا مَهَابَةٍ، وَكَانَ أَهْوَنُ تَأْدِيْبِهِ إِعْمَالَ السَّيْفِ، وَمُقَدَّمَةَ غَضَبِهِ إِرَاقَةَ الدَّمِ، وَكَانَ ذَا صُمَّةٍ[2] عَلِيَّةٍ، وَسَخَاوَةٍ جَلِيَّةٍ، مُحِبّاً لِأَهْلِ العِلْمِ مُقَرِّباً لَهُمْ، مُسْتَقِيْمَ الطَّالِعِ، مُقْبِلاً فِيْ الأُمُوْرِ.

ثُمَّ رَجَعَ مِنْهَا بِأَمْوَالٍ جَمَّةٍ لَمَّةٍ، لَا يُحْصِي المُحْصُوْنَ حَصْرَهَا، وَلَا يَسَعُ أَقْلَامَ الحَسَبَةِ عَدُّهَا؛ وَأَمَرَ بِهَا إِلَى حَضْرَةِ أَخِيْهِ مُنْكَاخَانَ، «وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِيْنَ».[3]

مجموعة الأصابع على الظّهر).

(1) عضب الرّجلُ فلاناً عن حاجته: ردّه ومنعه. وهو هنا إشارة إلى عدم إطاعته لهوى نفسه. (المقوّم اللّغويّ).

(2) الصّمّة: السّدادة.

(3) سورة الأنبياء الآية (11).

«تَوَجُّهُ هُولاكُو إِلى بَغْدَادَ بَعْدَ أَخْذِ قِلَاعِ المَلَاحِدَةِ»[1]

ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا فَرَغَ مِنْ تَهْدِيْمِ صَيَاصِيْهِمْ وَقِلاَعِهِمْ، وَتَقْوِيْضِ أَرْكَانِهِمْ وَتَخْرِيْبِ بُنْيَانِهِمْ، وَقَتْلِ شِيْبِهِمْ وَشُبَّانِهِمْ، رَتَّبَ جَيْشَهُ مُتَوَجِّهاً إِلَى بَغْدَادَ مُسْتَوْفِزاً[2] مُسْتَعْجِلاً.

وَكَانَ مِنْ أَمْرِ بَغْدَادَ أَنَّ خُلَفَاءَهَا العَبَّاسِيَّةَ لَمْ يَكُوْنُوْا يَحْتَفِلُوْنَ بِمُلُوْكِ المَغُوْلِ[3] فِي مَبْدَأَ أَمْرِهِمْ وَلاَ يَعْتَدُّوْنَ بِهِمْ، وَمَعَ ذَلِكَ صَارُوْا يُوَافِقُوْنَ الإِسْمَاعِيْلِيَّةَ، وَيُحَابُوْنَهُمْ، وَيُوَادُّوْنَ مُتَشَيِّعِيْهِمْ، وَيَسْتَعِيْنُوْنَهُمْ فِي الأُمُوْرِ، وَيَسْتَمِدُّوْنَ بِفِدَائِيِّيْهِمْ؛ وَمُلُوْكُ المَغُوْلِ كَانُوْا يَتَسَامَعُوْنَ بِذَلِكَ، لَكِنَّهُمْ يُسَامِحُوْنَهُمْ وَيُسَاهِلُوْنَهُمْ وَيَسْتَدْرِجُوْنَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُوْنَ، وَهُمْ لَا يَزْدَادُوْنَ إِلَّا تَغَافُلاً وَتَجَاهُلاً.

وَمَعَ ذَلِكَ كَانُوْا إِذَا وَصَلَ بَغْدَادَ تُجَّارُ بِلَادِ المَغُوْلِ تَحَسَّسُوْا مِنْ حَالِهِمْ، فَإِنْ عَلِمُوْا أَنَّهُمْ مِنْ جِهَةِ المَغُوْلِ، أَدْخَلُوْا أَيْدِيَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَكَانَ رُسُلُ[4] المَغُوْلِ إِذَا وَصَلُوهَا يَحْبِسُوْنَهُمْ فِي البُيُوْتِ، وَيُضَيِّقُوْنَ عَلَيْهِمْ فِي المَآكِلِ

(1) ورد العنوان في الهامش.

(2) وفز: عجل. (المقوّم اللّغويّ).

(3) في هاتين الصّفحتين ورد «المغال» وغيّرناه بـ: المغول. إضافة المقوّم اللّغويّ: احتفل بالأمر واحتفى به: اهتمّ به.

(4) في الأصل: أرسل.

وَالمَشْرَبِ وَيَحْتَقِرُوْنَهُمْ احْتِقَاراً وَيَسْتَخِفُّوْنَ بِهِمْ اسْتِخْفَافاً حَتَّى تَوَجَّه [16] إِلَيْهَا ذَاتَ سَنَةٍ جِيْلٌ مِنَ المَغَالِ الشُّرمَاغُوْنِيَّةِ ـ وَكَانَ شُرمَاغُوْنُ[1] مِنْ كِبَارِ أُمَرَاءِ جَيْشِهِمْ ـ المُوَكَّلِيْنَ عَلَى سَوَادِ العِرَاقِ، الضَّابِطِيْنَ لَهَا بِمِقْدَارِ ثَلاثِيْنَ ألفِ فَارِسٍ، وَنَزَلُوْا بِبَابِ بَغْدَادَ حَتَّى إِذَا خَرَجَ جَيْشُ بَغْدَادَ نَاوَشُوْا الحَرْبَ، وَظَلُّوْا يَوْمَهُمْ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِمْ اللَّيْلُ،[2] رَكَلَ جَيْشُ المَغُوْلِ الأَرْضَ بِسَاقِهِمْ وَانْهَزَمُوْا أَوْ تَهَزَّمُوْا بِاتِّفَاقِهِمْ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ تَجْرِبَةً مِنْهُمْ لِأَهْلِ بَغْدَادَ وَامْتِحَاناً لَهُمْ، وَعَجَماً لِعُوْدِهِمْ.[3]

ثُمَّ أَمْهَلُوْا سِنِيْنَ إِلَى أَنْ بَلَغَ هُولاكُو وَتَوَجَّهَ بِجَيْشِهِ إِلَيْهَا وَالخَلِيْفَةُ المُسْتَعْصِمُ بِاللهِ كَانَ يَرَى أَنْ لا مُبَالاَةَ لَهُ بِهِمْ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ يُؤَدِّي إِلَى مُلُوْكِ المَغُوْلِ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ دِيْنَارٍ خَلِيْفِيَّةٍ، وَتَمَكَّثَ غَيْرَ مُهَيِّءٍ لِجَيْشٍ يُقَابِلُهُمْ أَوْ يُقَاتِلُهُمْ، كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُوْلِ اللَّدْمِ فِيْ وَجَارِهَا[4] وَالمُرْصِدُ لَهَا

---

(1) عهدت إلى شرماغون في السّنين من 626 إلى 639 قيادة الجيش المغولّي في نواحي إيران، ونتيجة لقصوره عزل عن منصبه وحلّ مكانه بايجونويان لكنّ شرماغون أعاد الحملة على بغداد، وكان في كلّ مرّة يسكب، واستمرّ المؤلّف في الإشارة إلى ذلك.

(2) في الأصل: عليه. سورة الأنعام الآية (76) فـلمّا جنّ عليه اللّيل. النّصّ مقتبس من هذه الآية، لكن بحسب السّياق فقد تحوّلت عليه إلى عليهم.

(3) ورد: حياة الحيوان [الدّميري، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1424] (246/1) فعجم عيدانها عوداً عوداً: أي مضغها لينظر إليها أيّها أصلب. يقال: عجمت العود إذا مضغته وعضضته.

(4) وجار (به فتح و كسر «و») هذا التّعبير جاء في الخطبة السّادسة من نهج البلاغة. إضافة المقوّم اللّغوي: (اللّدْمُ) صوت الحجَرِ أو الشّيء يقع على الأرض وليس بالصّوت الشّديد ـ وفي الحديث: «وَاللهِ لَا أَكُونُ مِثْلَ الضَّبُعِ تَسْمَعُ اللَّدْمَ حَتَّى تَخْرُجَ فَتُصَادَ».

قَدْ وَصَلَ بِبَابِ دَارِهَا وَلَمْ يَتعَرَّضْ لَا لِلسَّلْمِ وَلَا لِلْحَرْبِ، حَتَّى خَيَّمَ هُوْلاكُو خَانَ بِبَابِ بَغْدَادَ، وَاحْتَفُّوْا بِهَا إِحَاطَةَ المُقْلَةِ بِإِنْسَانِهَا[1] وَالدَّايِرَةِ بِنُقْطَتِهَا، بَعْدَ أَنْ أَوْقَدُوْا نِيْرَانَ الإِغَارَةِ وَالقَتْلِ عَلَى مَا حَوْلَهَا مِنَ القُرَى وَالأَمَاكِنِ المَعْمُوْرَةِ، وَسَبَوْا أَهلَهَا وَقُطَّانَهَا[2] حَتَّى فَرَّ إِلَى بَغْدَادَ مَنْ انْفَلَتَ مِنْ سَيْفِهِمْ أَوْ تَخَلَّصَ مِنْ خَيْفِهِمْ،[3] اعْتِمَاداً مِنْهُمْ عَلَى أَنَّ الخَلِيْفَةَ

(1) المقلة: العين، وإنْسَانهُا: المِثَالُ الَّذِي يُرَى فِي السَّوَادِ، وَجَمْعُهُ (أَنَاسِيُّ) ومنه قول محمّد بن أحمد عليّ الأبزاريّ المعروف بشمس الدّين الكوفيّ في رثاء بغداد:

إن لم تقرّح أدمعي أجفاني *** مِن بَعد بُعدكم فما أجفاني

إنسان عيني مذ تناءت داركم *** ما راقه نظر إلى إنسان

مالي وللأيّام شتّت صرفُها *** حالي وخلاّني بلا خلاّن

ما للمنازل أصبحت لا أهلُها *** أهلي ولا جيرانُها جيراني

وحياتِكم ما حلّها من بعدكم *** غيرُ البِلى والهدمِ والنّيران

ولقد قصدت الدّار بعد رحيلكم *** ووقفت فيها وِقفة الحيران

وسألتها لكنْ بغير تكلّم *** فتكلّمَت لكن بغير لسان

إلى أن يقول:

ما لي أنيس بعدكم غير البكا *** والنّوح والحسرات والأحزان

ياليت شعري أين سارت عيسكم *** أم أين موطنكم من البلدان

وتقع القصيدة في سبعة وعشرين بيتاً.

(2) القاطنين فيها. (المقوّم اللّغويّ).

(3) (الخَيْفُ) ما انْحدرَ عَنْ غِلَظِ الجَبَلِ وَارْتَفعَ عَنْ مَسِيلِ الْماءِ. وفَرَسٌ (أَخيَفُ) بَيِّنُ (الخَيَفِ) إِذَا كَانَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ زَرْقَاءَ وَالأُخْرَى سَوْدَاءَ، وَكَذَلِكَ هُوَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وِمنْهُ قِيلَ: النَّاسُ (أَخْيَافٌ) أَيْ مُخْتَلِفُونَ. وَإِخوَةٌ أَخْيَافٌ إِذَا كَانَتْ أُمُّهُمْ وَاحِدَةً وَالآبَاءُ شَتَّى. يريد أن يصف قوّة هجومهم بالماء إذا اندفع، مع تنوّعهم. (المقوّم اللّغويّ).

يَقُوْمُ بِدِفَاعِهِمْ وَيَجْبَهُهُمْ أَشَدَّ جَبْهَةٍ،(1) وَهُوَ يَتَنَاوَمُ؛ حَتَّى إِذَا انْتَبَهَ مِنْ رَقْدَتِهِ وَتَيَقَّظَ مِنْ سَكْرَتِهِ، كَانَ المَجَالُ قَدْ ضَاقَ، وَالعَدُوُّ أَخَذَ بِكَظْمِهِ وَمَسَاغِ رِيْقِهِ، وَقَبَضَ عَلَى مُتَنَفَّسِهِ، وَاتَّسَعَ الخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ، وَبَلَغَ الحِزَامُ الطُّبْيَيْنِ.(2)

فَأَمَرَ بِتَطْبِيْقِ أَبْوَابِهَا وَتَعْلِيْقِهَا، وَنَصْبِ المَجَانِيْقِ وَالعَرَّادَاتِ، فَلَمَّا زَحَفَ جَيْشُ المَغُوْلِ زَحْفَةً أَوْقَعُوْا فِيْ الأَرْضِ رَجْفَةً [17] وَرَدُّوْا عَنْ رُؤُوْسِ الحِصَارِ كَثِيْرَاً مِنْ رِجَالِهَا بِالنِّبَالِ، وَأَذَاقُوْهُمْ سُمَّ النِّصَالِ، وَأَصْلَوْهُمْ سَعِيْرَ القِتَالِ؛ أُنْهِيَ إِلَيْهِ أَنَّ الأَمْرَ أَمِرَ وَالشَّرَّ شَمَّرَ،(3) وَحَشْوُ السَّلَامَةِ ضُرٌّ، وَفَطَنَ(4) بِتَضْيِيْعِهِ أَمْرَهُ وَأَنَّ رَخَاءَ العَيْشِ غرَّهُ.

وَكَانَ وَزِيْرُهُ أَسَاءَهُ وَآذَاهُ، وَأَمَالَ عَنْ نَفْسِهِ هَوَاهُ؛ فَكَانَ لِذَلِكَ ضَلْعُهُ مَعَ المَغُوْلِ،(5) وَمَيْلُهُ إِلَيْهِمْ إِرَادَةً لِلانْتِقَامِ، وَجَزَاءً عَنْ مَسَاءَتِهِ(6) مَعَهُ وَبِهِ، فَكَانَ قَدْ حَثَّهُمْ عَلَى بَغْدَادَ سِرَّاً وَجَرَّهُمْ إِلَيْهَا جَرَّاً، فَإِذَا كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ

---

(1) في الأصل: جبّة.

(2) «بلغ الحزام الطُّبْيين» تجري مثلاً، وتعني عندما تضيق الأمور ويصبح الإنسان تحت حوافر الخيل. انظر: مجمع الأمثال [الميداني، مشهد، 1366] ج 1، ص 44: بمعنى: تجاوز الأمر حده.

(3) كذا.

(4) فطَنَ للشيّء بفتح الطّاء وكسرها فِطنة. (المقوّم اللّغويّ).

(5) (الضَّلْعُ) بوزن الضّرْع المَيْلُ والجَنَفُ. يُقَالُ: ضَلْعُكَ مَعَ فُلَانٍ أي مَيْلُكَ معه وهَوَاكَ. وفي المثل: لا تَنْقُشِ الشَّوْكَةَ بِالشَّوْكَةِ فَإِنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا. يضرب للرّجل يخاصم آخر فيقول: اجعل بيني وبينك فلاناً لرجل يهوى هواه. (المقوّم اللّغويّ).

(6) الصّحيح أن يقول: جزاء مساءته إليه. (المقوّم اللّغويّ).

لَمْ يَرَ الخَلِيْفَةُ إِلَّا أَنْ يَعْرِضَ عَلَيْهِمْ المُصَالحَةَ، وَيَتْرُكَ المُطَافحَةَ.[1]

وَهُولاكُو أَيْضاً قَدْ أَظْهَرَ لَهُ قَبُولَهُ، وَأَنْ يُعْطِيَهُ مَسْؤُولَهُ؛ حَتَّى سَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِمَّنْ شَاهَدَ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى الخَلِيْفَةِ مُرَاوِغاً لَهُ، مُخَاتِلاً[2] بِأَنِّي أُرِيْدُ مُصَاهَرَتَكَ وَمُوَاصَلَتَكَ بِكَرِيْمَةٍ وَكَرِيْمٍ مِنَّا وَمِنْكُمْ، حَتَّى غَرَّهُ، وَاسْتَدْرَجَهُ وَأَبْهَمَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ؛ وَنَهَى جُنْدَهُ [عَنْ الحَرْبِ] بِإِغْمَادِ السُّيُوْفِ وَإِزَالَةِ الحِرَبِ عَنْ أَمَاكِنِهَا، وَتَقْوِيْضِ الصُّفُوْفِ، وَاسْتَدْعَاهُ أَنْ يُخْرِجَ عَنْ البَلَدِ أُمَرَاءَ الجَيْشِ عَلَى طَرِيْقِ المُزَاوَرَةِ وَالمُصَالحَةِ حَتَّى أَخْرَجَ أَذْوَاءَ القَوْمِ وَذَوَاتِيهُمْ عَنْ البَلَدِ إِلَيْهِ،[3] ثُمَّ خَرَجَ هُوَ أَيْضاً بِطَمِّهِ وَرَمِّهِ[4] فِيْ أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ وُجُوْهِ قَوْمِهِ وَرُؤُوْسِ أَهْلِهِ مُتَعَمِّمِيْنَ بِالعَمَائِمِ السُّوْدِ، كَأَنَّهُمْ المُصَابُوْنَ بِتَوْدِيْعِ السَّلَامَةِ وَالجُدُوْدِ.

---

(1) طَفَحَ الإِنَاءُ: امْتَلأَ حتّى يفيض. ويقصد أنّه لا يترك الأمور تخرج عن حدّها. (المقوّم اللّغويّ).

(2) الخَتْلُ: الخداع. (المقوّم اللّغويّ).

(3) أذواء القوم: وجوههم، وساداتهم، وأهل الذّوات منهم. (المقوّم اللّغويّ).

(4) يقال: جاءهم الطّمّ والرّمّ: أتاهم الشّيء الكثير والقليل. (المقوّم اللّغويّ).

«كَلَامُ هُولَاكُو مَعَ المُسْتَعْصِمِ بَعْدَ تَسْلِيمِهِ»

فَلَمَّا رَأَى هُولاكُو خَانَ أَنَّ الأَسَدَ تَرَدَّى فِي زُبْيَتِهِ، وَوَقَعَ فِيْ حِبالَتِهِ، اغْتَنَمَ اصْطِيادَهُ وَأَدَّى مَا عَنْ زَمَانٍ طَوِيْلٍ أَرادَهُ، وَانْتَهَزَ فِيْ شِدَّةِ ضَبَّتِهِ[1] فُرْصَتَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُمارِسَ غُصَّتَهُ، وَيُطِيْلَ فِيْ مُعالَجَةِ الأَمْرِ قِصَّتَهُ، وَقَبَضَ عَلَيْهِ وَعَلَى مَوْكِبِهِ، وَأَذْرَاهُ[2] عَنْ ظَهْرِ جِدِّهِ وَمَرْكِبِهِ مَكْبُوْلاً فِي عَقْدِ القِدِّ، مُدَوَّخاً تَحْتَ الأَسْرِ [18] وَالشَّدِّ، مَخْطُوْفاً[3] بِإِكْبابِ[4] الجَدِّ وَإِضَاعَةِ الجَهْدِ وَالجِدِّ.

ثُمَّ أَمَرَ بِالقَبْضِ عَلَى قُوَّادِ جَيْشِهِ وَقُيَّامِ مَمْلَكَتِهِ وَعَيْشِهِ وَسَادَاتِ حَلْقَتِهِ، وَسَرَوَاتِ بَلْدَتِهِ، وَفُرْسَانِ جُنْدِهِ وَشُجْعَانِ جِيْلِهِ، وَأُمَنَائِهِ وَقُرَنَائِهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَقْرِبَائِهِ وَابْنَيْهِ اللَّذَيْنِ اسْتَصْحَبَهُمَا إِلَيْهِ عَلَى إِرَادَةِ أَنْ يُكْرِمَ مَثْوَاهُمَا لَدَيْهِ.

ثُمَّ أَمَرَ[5] بِإِرَاقَةِ دِمَائِهِمْ وَقَطْعِ ذِمَائِهِمْ[6] عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ وَحَوَالَيْهَا، وَكَانَ لَمْ يَقْتُلْهُ بَعْدُ، فَأَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ مَغْلُوْباً مَكْبُوْلاً نَاظِراً إِلَيْهِ قَتْلَهُ، مَنْكُوْباً

---

(1) هنا بمعنى الغضب والحقد.

(2) كذا.

(3) في الأصل: مخطوظا!.

(4) كبّ الشيّء يكبّه: قلَبه، كبّه لوجهه، فانكبّ أي صرعه.

(5) في الأصل: أمروا!.

(6) الذّماء والذّمام: العهد والأمان والكفالة (المقوّم اللّغويّ).

عَلَيْهِ شَزَرُهُ وَفَتَلُهُ،[1] ضَاحِكاً عَلَيْهِ جَدُّهُ، مُضَيِّعاً لَدَيْهِ جِدَّهُ، مُفَرِّعاً جَذَّهُ،[2] مُفَلِّلاً حَدَّهُ، ذَائِقاً مَا أَذَاقَهُ آبَاؤُهُ الظَّلَمَةُ أَهْلَ البَيْتِ النَّبَوِيِّ، لَابِساً مَا أَلْبَسُوْهُ عَلَى الرَّهْطِ العَلَوِيِّ، فَأَخَذَ يُبَكِّتُهُ[3] وَيُعَنِّفُهُ وَيُذَكِّرُهُ مَا ارْتَكَبَهُ مِنَ الأَفَاعِيْلِ القَبِيْحَةِ وَالأَعْمَالِ المُسْتَشْنَعَةِ الكَامِلَةِ فِي الفَضِيْحَةِ، وَيَقُوْلُ لَهُ:

هَلْ كَانَ شَرْبُ الخُمُوْرِ، وَضَرْبُ الدُّفُوْفِ وَالطُّنْبُوْرِ، وَالمُلَاعَبَةُ بِالمَلَاهِيْ، وَمُعَانَقَةُ المَقَابِحِ وَالمَنَاهِيْ دَأْبَ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٌ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَشَرِيْعَةَ مُصْطَفَاكُمْ؟ أَوْ كَانَ اللَّوَاطُ بِالغِلْمَانِ وَالاجْتِمَاعُ بِالوِلْدَانِ[4] وَالاشْتِغَالُ بِالمَعَازِفِ وَالقِيَانِ مِنْ سِيْرَتِهِ وَطَرِيْقَتِهِ؟.

وَعَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مَنَوَاتِهِ[5] وَمَذَمَّاتِهِ وَمَعَايِبِهُ وَمَسَبَّاتِهِ مَا اسْتَحَىٰ مِنْهُ إِبْلِيْسُ وَجُنُوْدُهُ، وَخَجِلَ مِنْهُ نُمْرُوْدُ وَوُفُوْدُهُ.

وَقَدْ أُحْضَرَ مَا أُخْرِجَ مِنْ دَارِهِ مِنْ أَنْوَاعِ المَلَاهِيْ مِنَ الدُّفُوْفِ المُرَصَّعَةِ وَالصَّفَانَاتِ وَالبَرَابِطِ وَالعِيْدَانِ المُذَهَّبَةِ وَجَمِيْعِ أَثَاثِ الشَّرَابِ وَالخَوَابِيْ[6] المَمْلُوْءَةِ مِنَ الخَمْرِ الذَّهَبِيَّةِ وَأَوَانِيْهَا الفِضِّيَّةِ وَالقِيْنَاتِ المُغَنِّيَةِ وَالجَوَارِيْ

(1) الشّزر الغضب. والفتل: القوّة والشّدّة. (المقوّم اللّغويّ).

(2) الجذّ: كسر ما هو صلب. (المقوّم اللّغويّ).

(3) يبكته: يقرّعه ويوبّخه. (المقوّم اللّغويّ).

(4) في الأصل: الوالدان.

(5) يحتمل: هفواته.

(6) بمعنى قربات، قدح وأقداح.

المُطْرِبَةِ وَالغِلْمانِ الرُّؤْدِ[1] الحِسَانِ وَالمُسْبكْرَاتِ[2] الرَّقَّاصَةِ وَفُنُوْنِ أَدَاةِ المَيْسِرِ مِنَ النَّرْدِ وَالشَّطْرَنْجِ المُرَصَّعَةِ [19] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. «وَمَعَ هَذَا فَقَدْ كَانَ إِمَامَ القَوْمِ وَمُقْتَدَى الأُمَّةِ إِلَى هَذَا اليَوْمِ».

فَلَمَّا عَدَّ عَلَيْهِ جَمِيْعَ مَسَاوِيْهِ، وَثَبَ عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ، وَزَبَنَهُ زَبْنَةً فِيْ كَشْحِهِ،[3] [وَقَالَ:] اقْتُلُوْهُ رَكْلاً بِالأَرْجُلِ وَلَكْزاً بِالأَيْدِي مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْتَفِيَ بِشَفْرَةِ سَيْفٍ.

وَكَانَ قَبْلَ قَتْلِهِ، قَتَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ابْنَهُ أَبَا بَكْرٍ، فَأَمَرَ أَنْ يُلْقَى حَوْبَاؤُهُ إِلَى ضَوَارِي الكِلَابِ،[4] وَعُتَاةِ العُقْبَانِ وَالغُرَابِ.

---

(1) وكتب الجوهر يحول المرأة الرّؤد: والرّؤد من النّساء الشّابّة الحسنة (لسان العرب [ابن منظور، بيروت، دار الفكر، 1414]: 169/3) وفي الحقيقة هذا المعنى ينسحب إلى وصف الغلمان.

(2) في الأصل: المختكرات. المُسبكرّ: بمعنى الشّابّ التّامّ المعتدل.

(3) الزَّبْنُ: الدَّفْعُ. والكَشْحُ بِوَزْنِ الفَلْسِ: ما بين الخاصرة إلى الضِّلَعِ الخَلْفِيِّ. (المقوّم اللّغويّ).

(4) الحوباء النّفس. ويقصد جثّته. (المقوّم اللّغويّ).

«هُجومُ المَغُوْلِ عَلَى بَغْدَادَ»

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ أَمْرِهِ وَإِمَاتَةِ ذِكْرِهِ وَإِطْفَاءِ شُعْلَتِهِ، وَإِخْمَادِ جَمْرَتِهِ، وَجَزَاهُ عَنْ بِطْنَتِهِ[1] وَفِتْنَتِهِ وَأَرَاحَ العَالَمِيْنَ مِنْ شرِّ شُبْهَتِهِ، أَمَرَ جُنُوْدَهُ المُغَالِيَّةَ وَوُفُوْدَهُ التُّرْكِيَّةَ التَّتَارِيَّةَ بِالزَّحْفِ إِلَى بَغْدَادَ وَقَتْلِ أَهْلِهَا وَنَهْبِ أَمْوَالِهَا وَسَبْيِ جَوَارِيْهَا وَأَطْفَالِهَا،[2] فَشَدُّوْا شَدَّةَ اللُّيُوْثِ عَدَتْ[3] وَهِيَ غِضَابٌ، وَكَرُّوْا كَرَّةَ الذُّبَابِ إِلَى التَّغْذَةِ وَهِيَ مِنَ الجُوْعِ فِيْ عَذَابٍ، وَرَكِبُوْا كَالصَّوبِ الهَاطِلِ[4] وَالسَّيْلِ الهَائِلِ، وَالجَمَلِ الهَائِجِ وَالبَحْرِ المَائِجِ، مُتَشَمِّرِيْنَ لِلانْتِهَابِ، مُتَهَيِّئِيْنَ لِلاسْتِلاَبِ، صَابِّيْنَ عَلَيْهَا سِيَاطَ العَذَابِ، وَغَشَوْهَا مِنْ غَيْرِ دِفَاعٍ وَلَا نِزَاعٍ، شَاهِرِيْنَ سُيُوْفَ الغَضَبِ مَعَ قُلُوْبٍ مُوْقَدَةٍ وَلَا كَاللَّهَبِ عَلَى أُوْلَئِكَ المُسْلِمِيْنَ وَالمُؤْمِنِيْنَ، وَأَذْكَوْا عَلَيْهَا ضِرَامَ الانْتِقَامِ وَشَرَرَ الشَّرِّ وَالخِصَامِ، وَأَلْهَبُوْا عَلَيْهَا شَرَارَةَ الإِغَارَةِ، وَأُوَارَةَ البَوَارَةِ،[5] وَأَوْقَدُوْا عَلَيْهَا مِنْ نَارِ القَتْلِ وَالاسْتِيْصَالِ وَالإِسَارِ

---

(1) البطنة: الشرّه للأكل والطّعام. (المقوّم اللّغويّ).

(2) في الأصل: واطعا؟.

(3) في الأصل: غدا؟. (تصحيح قياسّي).

(4) الصَّوْبُ: الانْصِبابُ مِنْ صَبَّهُ إِذا أَراقَه فانْصَبّ كالانْصِيَاب؛ يقال: صَابَ المَطَرُ صَوْباً وانْصَابَ كِلاهُمَا بمَعْنَى انْصَبَّ. الصَّوْبُ: الصَّيِّبُ كَسَيِّدٍ. يُقَالُ: مَطَر صَوْبٌ وصَيِّبٌ. (المقوّم اللّغويّ).

(5) الأوار: اللّهب وحرّ النّار. والبوار: الهلكة. ودار البوار: جهنّم. ومنه قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ

وَلَظَى الحُرُوْبِ وَالكُرُوْبِ وَالتَّبَارِ.

فَمَاذَا أَقُوْلُ مِمَّا أَبْدَوْا بِهَا مِنْ تَخْرِيْبِ القُصُوْرِ وَالدِّيَارِ، وَتَحْرِيْقِ البُيُوْتِ بِنَارِ الضِّرَارِ، وَوَقْعِ الشَّغَارِ، وَسَلِّهِم سُيُوْفَ الحُتُوْفِ عَلَى أَهْلِيْهَا زُحُوْفاً بَعْدَ زُحُوْفٍ، وَأُلُوْفاً بَعْدَ أُلُوْفٍ، وَمَشْقِهِمْ بِالرِّمَاحِ الطِّوَالِ،[1] وَرَشْقِهِمْ بِالنِّبَالِ ذَوَاتِ النُّصُوْلِ وَالنِّصَالِ،[2] ثُغَرَ النِّسَاءِ وَأَلْيَاتِ[3] الرِّجَالِ وَأَفْوَاهَ الوِلْدَانِ وَالأَطْفَالِ وَ[20] وَالشُّبَّانَ وَأُوْلَاتِ الرِّعَاثِ وَالحِجَالِ[4]، وَإِسَالَتِهِمْ أَنْهَارَ الدِّمَاءِ حَتَّى لَمْ يُمَيَّزْ مَجْرَى دِجْلَةَ، أَمَجْرَى الدِّمَاءِ هُوَ أَمْ المَاءِ. وَقَتَلُوْا قِتْلَةً[5] لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا تَحْتَ السَّمَاءِ.

فَأَنْتَ يَا أَخِيْ! بِشَوَاطِئِ الشَّطِّ، وَكَمْ بِهَا مِنْ صَرْعَى صَائِرِيْنَ طُعْمَةً لِلسِّيْدِ وَالأُسُوْدِ،[6] وَقَتْلَى مَكْبُوْبِيْنَ عَلَى الأَذْقَانِ وَالخُدُوْدِ، وَالرُّضَّعِ المُدَحْرَجِيْنَ بِأَسَلِ السُّيُوْفِ مِنَ المُهُوْدِ.[7] وَقَدْ صَارَتْ جَمَاجِمُ الرُّؤُوْسِ

يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ). سورة إبراهيم الآيتان (28 ـ 29). (المقوّم اللّغويّ).

(1) إخراجها ورميهم بها. (المقوّم اللّغويّ).

(2) النِّصال: جمع نصل، وهو حديدة الرّمح. (المقوّم اللّغويّ).

(3) في الأصل: ليات.

(4) الرِّعاث: جمع رعْثة بسكون العين وتحريكها: ما عُلّقَ بالأُذُنِ من «القُرْط» ونَحْوِه. والحجال: جمع حجلة وهي بيت (غرفة) المرأة الخاصّة في الدّار. (المقوّم اللّغويّ).

(5) القِتلة: اسم الهيئة من القتل، أي طريقة القتل وهيئتها. والقتلة: اسم المرّة من القتل. (المقوّم اللّغويّ).

(6) السِّيْدُ: الذّئب. والأسود معروفة. (المقوّم اللّغويّ).

(7) الأَسَلُ: نبات شوكيّ كثير الأغصان، والرّماح والنّبل، وكلّ ما رقّ وحدّ من الحديد من سيف أو سكّين أو سنان. والأخير هو المقصود هنا. (المقوّم اللّغويّ).

مُلْتَطَمَ قَوَائِمِ الأَفْرَاسِ، وَعِظَامُ المُتُوْنِ وَالخَوَاصِرِ مُزْدَحَمَ الأَوْظِفَةِ[1] وَالحَوافِرِ، وَكَمْ مِنْ جِيَاعِ الضِّبَاعِ وَغَرْثَى السِّبَاعِ[2] قَدْ شَبِعَتْ بُطُوْنُهَا إِلَى سَنَةٍ مِنْ أَشْلاَءِ الصِّرَاعِ وَأَعْضَاءِ المَنْزُوْفِيْنَ الضِّرَاعِ،[3] وَكَمْ مِنْ عُقْبَانٍ وَنُسُوْرٍ قَدْ أَوْدَتْ بِهَا[4] التُّخْمَةُ مِنْ لُحُوْمِ الوُجُوْهِ وَالصُّدُوْرِ، وَقِلَعِ الظُّهُوْرِ وَالنُّحُوْرِ.

(1) الأوظفة: مُسْتَدَقُّ الذّراع والسّاق من الخيل والإبل وغيرهما. (المقوّم اللّغويّ).

(2) (الغَرْثَانُ) بِوَزْنِ الْعَطْشَانِ الجَائِعُ. ومنه قول حسّان بن ثابت في مدح عائشة:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بريبَةٍ *** وتصْبحُ غَرْثَى من لحوم الغَوافلِ

(المقوّم اللّغويّ).

(3) الضرّاعُ: مبالغة اسم الفاعل. الضّارعون المستنجدون. (المقوّم اللّغويّ).

(4) في الأصل: لها.

«مِيْرَاثُ العَبَّاسِيِّيْنَ عَلى أَيْدِي المَغُوْلِ»

وَشَدِّهِمْ البَاقِيْنَ مِنَ الشَّيْبِ وَالشُّبَّانِ وَالمُتَرَعْرِعِيْنَ وَالغِلْمَانِ، وَالعَقَائِلِ[1] البُدْنِ السِّمَانِ وَالشَّبَابِ[2] الغِيْدِ الحِسَانِ، وَالخُرُوْدِ[3] النَّوَاعِمِ نُعُوْمَةَ الرَّطِبِ مِنَ الأَغْصَانِ، وَالعَذَارَى الأَبْكَارِ كَأَنَّهَا جَوَارِي الجِنَانِ، جُعِلَتْ فِيْ شَدِّ الوَثَاقِ وَقَيْدِ الرِّبَاقِ،[4] مَغْلُوْلَةَ الأَيْدِي إِلَى الأَعْنَاقِ، مَبِيْعَةً بِثَمَنٍ بَخْسٍ فِيْ الآفَاقِ، لاسِيَّمَا فِيْ كُوَرِ خُرَاسَانَ وَالعِرَاقِ.

وَمَا عَسَى أَنْ أَقُوْلَ مِنَ الخَزَائِنِ القَدِيْمَةِ وَالدَّفَائِنِ الجَسِيْمَةِ وَالطُّرَفِ[5] التُّلَلِ الوَفِرَةِ، وَالغَنَائِمِ الجَمَّةِ الدَّثِرَةِ،[6] وَالمَذْخُوْرَاتِ المَوْرُوْثَةِ، خَلَفاً عَنْ سَلَفٍ التِي لَمْ يَطُلْ إِلَيْهَا أَيْدِيْ تَلَفٍ، وَالنَّفَائِسِ المَحْفُوْظَةِ مُذْ زَمَنِ الأُمَوِيَّةِ وَدُوَلِ العَبَّاسِيَّةِ، وَالعِتَاقِ ذَوَاتِ الأَمْهَارِ وَالأَسْلِحَةِ وَالأَمْتِعَةِ

---

(1) في الأصل: عقائل.

(2) في الأصل: الشرّاب!.

(3) الخريدة: البكر من النّساء.

(4) (الرِّبْقُ) بالكسر حَبْلٌ فيه عدّة عُراً تُشدُّ به البَهْمُ، الوَاحِدَة من العُرَا (رِبْقَةٌ) وَالجَمْعُ (رِبَقٌ) وَ(أَرْبَاقٌ) وَ(رِبَاقٌ) وفي الحديث: لَكُمُ العَهْدُ ما لَمْ تَأْكُلُوا الرِّبَاقَ. (المقوّم اللّغويّ).

(5) الطِّرف: المال المستفاد. إضافة المقوّم اللّغويّ: المال الطّارف المستحدث، والتّالد ما كان إرثاً قديماً.

(6) الدّثر: المال الكثير.

التِي لَا يُحْصِيْهَا فِكَرُ الاعْتِبَارِ فِيْ طُوْلِ اللَّيَالِي وَالنَّهَارِ.

حَتَّى سَمِعْتُ أَنَّهُمْ جَمَعُوْا أَنْعَامَ تِلْكَ البِقَاعِ وَالنَّوَاحِي لِحَمْلِ مَا نَهَبُوْا وَسَلَبُوْا وَجَمَعُوْا مِنْهَا وَاخْتَزَنُوْا،[1] فَمَا كَادَتْ تَحْمِلُ إِلاَّ القَلِيْلَ مِنْ تِلْكَ النُّهَبِ وَالنَّفَائِسِ [21] الخَطِيْرَةِ وَالغَنَائِمِ الكَثِيْرَةِ.

وَكَانَ [العَبَّا]سِيَّةُ عَلَى مَا هُوَ مَعْرُوْفٌ مِنْ حَالِهِمْ يَحْبِسُوْنَ أَقْرِبَاءَهُمْ صِغَاراً وَكِبَاراً وَيُوَكِّلُوْنَ عَلَيْهِمْ الحَامِيْنَ وَالبَطَارِقَةَ حَتَّى كَانَ المَوْ[لُوْ]دُ يَشِيْبُ وَلَمْ يَرَ إِلَّا مَوْلِدَهُ، فَإِذَا دَخَلَتْ الأَمْغُلَةُ بَغْدَادَ،[2] قَتَلُوْهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ نَافِخُ ضِرَامٍ،[3] وَلا حَاكِي كَلَامٍ.

وَاسْتَأْصَلُوْا مُلْكَ العَبَّاسِيَّةِ وَاخْتَرَمُوْا عُرُوْقَهُمْ، وَأَخْمَدُوْا رُعُوْدَهُمْ بَيْنَ الخَلِيْقَةِ وَبُرُوْقَهُمْ، وَخَرَّبُوْا دِيَارَهُمْ، وَطَمَسُوْا آثَارَهُمْ وَلَبَّدُوْا غُبَارَهُمْ، وَأَطْفَؤوْا أَنْوَارَهُمْ وَأَنْضَبُوْا أَنْهَارَهُمْ وَجَعَلُوْهُمْ مَطْمُوْسِيْ الرُّسُوْمِ، مُخْفِيِّي البُدُوْرِ وَالنُّجُوْمِ، وَجَعَلُوْا قُصُوْرَهُمْ قُبُوْرَهُمْ، وَجَزَوْهُمْ شُرُوْرَهُمْ وَغُرُوْرَهُمْ، وَأَرْجَعُوْا إِلَى صُدُوْرِهِمْ بُهْتَانَهُمْ وَزُوْرَهُمْ «وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِيْنَ».[4]

---

(1) في الأصل: احتربوا. (تصحيح قياسّي).

(2) في الأصل: البغداد.

(3) يقال: ما فيها نافخ ضرمة، أي: ما فيها أحد ينفخ ناراً.

(4) سورة الأنبياء الآية (11).

«وقوعُ سُنَّةِ اللهِ عَلَى العَبَّاسِيِّيْنَ لِظُلْمِهِمْ عَلَى الشِّيْعَةِ والعَلَوِيِّيْنَ»

وَكَانَ الخَلِيْفَةُ المُسْتَعْصِمُ هَذَا أَمَرَ تَعَصُّباً وَعَدَاوَةً بِالإِغَارَةِ عَلَى أَهْلِ الكَرْخِ مِنْ بَغْدَادَ، وَقَتْلِ أَهْلِيْهَا وَسَبْيِ جَوَارِيْهَا حَتَّى دَخَلُوْا عَلَى البَنَاتِ العَلَوِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الشِّيْعِيَّةِ، وَأَخْرَجُوْهُنَّ مِنْ دِيَارِهِنَّ سَبَايَا يُبَعْنَ فِيْ بَغْدَادَ، وَأَمْوَالُهُمْ كَذَلِكَ. وَكَانَ أَرْسَلَ لِذَلِكَ الأَمْرِ بِأَهْلِ كَرْخٍ ابْنَهُ أَبَا بَكْرٍ.

فَلَمْ تَنْقَضِ تِلْكَ السَّنَةُ عَلَى تِلْكَ الظَّلَمَةِ حَتَّى أُذِيْقُوْا مِنْ مِثْلِ تِلْكَ الكَأْسِ، وَأُشْرِبُوْا مِنْ تِلْكَ الجُرَعِ مِنَ البَأْسِ، وَصَدَّقَ اللهُ بِهِمْ قَوْلَهُ: «وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِيْنَ بَعْضاً بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ».(1)

وَجَرَى عَلَى سُنَّتِهِ المَحْمُوْدَةِ، وَطَرِيْقَتِهِ المَعْهُوْدَةِ «فِيْ الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوْراً».(2)

وَكَانَتْ جَرَتْ وَقْعَةُ التَّتَارِ المَغُوْلِ وَشِدَّةُ وَطْأَتِهِمْ وَصُعُوْبَةُ فِتْنَتِهِمْ عَلَى بَغْدَادَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ البِلاَدِ المَعْمُوْرَةِ وَالأَمْصَارِ المَشْهُوْرَةِ فِيْ [22] فِيْ سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِيْنَ وَسِتِّمِائَةٍ.

أَمَّا عَلَى نَفْسِ بَغْدَادَ، فَفِيْ إِحْدَى جُمُعَاتِ وَسَطِ شَهْرِ المُحَرَّمِ مِنَ التَّارِيْخِ المَذْكُوْرِ.

---

(1) سورة الأنعام الآية (129).

(2) سورة الأحزاب الآية (38).

«قَصِيدَةُ المُؤَلِّفِ حَوْلَ سُقُوطِ بَغْدَادَ»

ثُمَّ إِنَّ لِلنَّاقِلِ مِنَ العَجَمِيَّةِ إِلَى العَرَبِيَّةِ الحُسَيْنِ[1] بنِ عَلِيٍّ البَطِيْطِيِّ - قَدَّسَ اللهُ رُوْحَهُ - هَذِهِ الأَبْيَاتِ عِنْدَ سَمَاعِ وَقْعَةِ بَغْدَادَ، وَرُؤْيَةِ أَسْرَاهَا وَمَجْلُوْبِيْهَا وَهِيَ قَوْلُهُ:

جَدِيْرٌ بِمَنْ يَهْوَى المَشُوْمَةَ شُوْمُهَا ... جَهُوْلٌ غَوَى مَنْ أَعْجَبَتْهُ وُشُوْمُهَا[2]

عَجُوْزٌ تَطَرَّتْ فِيْ ثِيَابِ فِتْيَةٍ ... وَتِلْكَ هِيَ الدُّنْيَا غُرُوْرٌ نَعِيْمُهَا

فَمَا صَارَ بَرْقٌ[3] مِنْ خَوَادِعِ حُسْنِهَا ... سِوَى بَسْمَةٍ خَدَّاعَةٍ مَنْ يَرُوْمُهَا

يُغَرُّ بِقُبْحِ الفِعْلِ حُسْنُ ابْتِسَامِهَا ... كَخَطْفَةِ بَرْقٍ أَبْلَسَتْ[4] مَنْ يَشُوْمُهَا[5]

فَلَوْ خَلَبَتْ[6] عَيْنَ العُقُوْلِ بُرُوْقُهَا ... هَلِ الأُذْنُ لَمْ تُقْرَعْ وَجَدَّكَ لَوْمُهَا

فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ بِقُبْحِ فِعَالِهَا ... فَهَاتِ إِلَى بَغْدَادَ أَقْوَتْ[7] رُسُوْمُهَا

كَأَنْ كَانَ بَغْدَادُ عَرُوْسًا جَمِيْلَةً ... فَخَضَّبَهَا حُمْرُ الدِّمَاءِ مُقِيْمُهَا

فَقَدْ غَيَّضَتْ[8] تَاتَارُ نَضْرَةَ وَجْهِهَا ... وَمَا خِلْتُهَا تُبْتَارُ لَوْلَا هُجُوْمُهَا

---

(1) في الأصل: الحسن وفي سائر الموارد «الحسين».

(2) الوشوم: العلامات. (المقوّم اللّغويّ).

(3) في الأصل: صارق.

(4) بلس: ندم.

(5) يشوم ويشون: يحزن. (المقوّم اللّغويّ).

(6) خالبه واختلبه: خادعه.

(7) أقوت: خلت من أهلها.

(8) غاضت بحيرة ساوة: أي غار ماؤها وذهب!.

هُو لاكُورُ قَدْ أَجْرَى إِلَيْهَا هَلاكَهَا ... بِهِ انْتَثَرَتْ[1] يَوْمَ الحِجَالِ قَطِيْمُهَا[2]

كَأَنْ حَسَدُ الدُّنْيَا عَلَيْهَا فَإِنَّهَا ... تُثَنَّى بِهَا وَالغِيْدُ شَوْةٌ خُصُوْمُهَا

بِهَا ازْدَانَتْ الآفَاقُ شَرْقاً وَمَغْرِباً ... كَمَا زَانَ[3] أَسْبَابَ السَّمَاءِ نُجُوْمُهَا

وَقَدْ صَبَّبَتْ تَاتَارُ سَوْطَ عَذَابِهَا ... وَقَدْ قُدَّ حَلْقٌ لَمْ تُصِبْهُ شُمُوْمُهَا

شُمُوْسٌ بِهَا كَانَتْ وَأَقْمَارُ مُلْكِهَا[4] ... دَهَاهَا عَلَى أَيْدِي الدَّوَاهِي غُيُوْمُهَا

[23] تَبْكِي عَلَيْهَا بِالدُّمُوْعِ ذَوَارِفاً ... خَلِيْطَ الدِّمَا، صِيْنُ البِلَادِ وَرُوْمُهَا

وَيَبْكِيْ عَلَيْهَا دِجْلَةٌ بِعُيُوْنِهِ ... إِلَى أَنْ تُرَى جَفَّتْ عَلَيْهَا سُجُوْمُهَا[5]

وَتَبْكِيْ لَهُمْ يَوْمَ المَنَاسِكِ كَعْبَةٌ ... وَزَمْزَمُهَا مُرّاً وَمَرّاً حَطِيْمُهَا[6]

لَقَدْ عَضَّتْ الدُّنْيَا عَلَيْهَا أَنَامِلاً ... وَقَامَ غُرَابُ البَيْنِ فِيْهَا وَبُوْمُهَا

فَأَيْنَ كِرَامٌ سَادَةٌ وَخَلَائِقٌ ... تَهَابُهُمْ صِيْدُ المُلُوْكِ قُرُوْمُهَا[7]

بِهِمْ فَخَرُ الخَضْرَاءِ يَوْمَ فَخَارِهَا ... إِذَا صَادَفَ الغَبْرَاءَ يَوْماً قُدُوْمُهَا

فَأَبْنَاءُ عَبَّاسٍ تَبَدَّدَ جَمْعُهُمْ ... وَأَطْوَادُ[8] مَجْدٍ مِنْهُمُ [مَنْ] يَؤُمُّهَا

أَكَلْتُ[9] لُحُوْماً مِنْهُمُ وَدِمَاءَهُمْ ... وَذَلِكَ دَأْبِيْ فَلْيَلُمْ مَنْ يَلُوْمُهَا

---

(1) في الأصل: انتشرت.

(2) القطَم: شهوة اللّحم و الضّراب و النّكاح.

(3) زان: ضاق.

(4) في الأصل: ملكة.

(5) سجومها: دموعها. (المقوّم اللّغويّ).

(6) الحطيم: ما بين زمزم والحجر في المسجد الحرام. وهي تسمية جاهليّة، وكان الرّجل يحلف ثمّ يلقي سوطه أو نعله أو قوسه فيه ويحطّمها. (المقوّم اللّغويّ).

(7) كناية عن السّادات والعظماء. (والقرم، الرّجل الذي لا يقبل الآخرين ولا الآخرين يقبلونه. ولذلك قيل: هذا سيّد قرم وجمعها (قروم).

(8) الأطواد: جمع طود وهو الجبل. (المقوّم اللّغويّ).

(9) يتحدّث عن لسان حال الدّنيا.

لَعَمْرِيْ لَقَدْ كَانَتْ بُعُوْلِي كَثِيْرَةً	لِيُذْكَرَ لَكُمْ بَهْرَامُهَا وَسَدُوْمُهَا[1]
فَقَتَّلْتُ وَاخْتَضَبْتُ دِمَاءَهُمْ	بِكَفِّيْ وَإِنِّيْ قَلَّ مِنِّيْ رَؤُوْمُهَا[2]
يُنَادِي لِسَانُ الحَالِ عَنْهَا مُفَاصِحاً	قَوَافِلَ حَجٍّ قَدْ تُشَدُّ عُكُوْمُهَا[3]
لِيَلْزَمْ سُرَاةُ[4] الحَجِّ عُقْرَ دِيَارِهِمْ	وَيُوْهَنْ لَهُمْ حَوْلَ البُيُوْتِ عَزُوْمُهَا[5]
فَقَدْ فَاتَ قَوْمٌ يُرْخِصُوْنَ نَوَالَهُمْ	لِقُصَّادِ بَيْتِ اللهِ أَوْدَى[6] كَرِيْمُهَا
فَأُفٍّ لِدُنْيَا لَمْ تُذِقْكَ عُسَيْلَةً	يَكُوْنُ غَدَاهَا سُمُّهَا وَسَمُوْمُهَا

وَلَمَّا فَرَغَ هُولاكُو مِنْ أَمْرِ بَغْدَادَ وَغَيْرِهَا مِنَ البِلَادِ اسْتَرَاحَ سَنَةً، وَأَرْسَلَ بِالذَّخَائِرِ وَالغَنَائِمِ إِلَى حَضْرَةِ مُنْكَاخَانَ، وَبَعْض بَنَاتِ الخَلِيْفَةِ المُسْتَعْصِمِ كَانَتْ مِنْ سُوَقَاتِهِمْ، وَالسُّوقَاتُ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ هَدِيَّةِ السَّفَرِ؛ تَهَيَّأَ لِبِلَادِ الشَّامِ وَمِصْرَ، وَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا.

وَإِذَا كُنَّا أَتْمَمْنَا هَذَا الكِتَابَ لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ مِنْ حَالِهِ إِلَّا هَذِهِ الجُمْلَةَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا عَلَى سَبِيْلِ [24] الجُمْلَةِ.

---

(1) بهرام: كوكب المرّيخ. وهو هنا اسم لواحد من خمسة من ملوك فارس، ولعلّه «بهرام جور» الذي نشأ في اليمن ثمّ صالح الرّوم بعد هزيمته أمامهم. وسدّوم مدينة قوم النّبيّ لوط عليه السّلام. (المقوّم اللّغويّ)

(2) الرّؤوم اسم الفاعل من رئم. رئمت الأنثى ولدها: لزمته وعطفت عليه. (المقوّم اللّغويّ).

(3) العكوم ما تشدّ به الأمتعة والأشياء. (المقوّم اللّغويّ).

(4) السّراة: المسافرون ليلاً. (المقوّم اللّغويّ).

(5) العزوم من أعدّ الشّيء وتهيّأ له. (المقوّم اللّغويّ).

(6) أودى: هلك ومات. (المقوّم اللّغويّ).

«خَاتِمَةُ الكِتَابِ»

قَالَ النَّاقِلُ المُعَرِّبُ: فَهَا نَحْنُ نَقْطَعُ الكَلَامَ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى وَجَمِيْلِ لُطْفِهِ وَكَرَمِهِ، وَجَزِيْلِ مِنَنِهِ وَنِعَمِهِ، فَإِنَّهُ المُوَفِّقُ لِإِتْمَامِ الأُمُوْرِ، وَالمُوْصِلُ لِأَوَاخِرِهَا بِالصُّدُوْرِ.

فِيْ أَوَاسِطِ رَجَبَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِيْنَ وَسِتِّمِائَةٍ.

تَمَّ هَذَا الكِتَابُ بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى وَمَنِّهِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ المُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ قَبْلِيِّ [قُبَيْلَ] وَقْتِ الظُّهْرِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فِيْ شَهْرِ اللهِ المُبَارَكِ «در پنج»[1] جُمَادَى الآخِرَةَ فِيْ تَارِيْخِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِيْنَ وَثَمَانِمِائَةٍ مِنْ هِجْرَةِ المُصْطَفَى خَيْرِ البَرِيَّةِ، عَلَى يَدَيْ العَبْدِ الفَقِيْرِ حُسَيْنِ بنِ مُحَمَّدٍ غَفَرَ اللهُ ذُنُوْبَهُمَا وَسَتَرَ[2] عُيُوْبَهُمَا «دُرْ» مَدْرَسَةِ الفَقِيْهِ الفَاضِلِ الكَامِلِ الفَقِيْهِ أَحْمَدَ يُوجَانِيٍّ[3] أَطَالَ اللهُ تَعَالَى بَقَاءَهُ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِيْنَ. وَالسَّلَامُ.

---

(1) كذا. إضافة المقوّم اللّغويّ: «در پنج» در كلمتان فارسيّتان تعنيان (في) و (پنج) أي العدد خمسة.

(2) في الأصل: سطر!.

(3) «يو» لم تنقط هذه الكلمة في المخطوطة.

المحتويات

فهرس الأسماء والأماكن